

الحسام المسلول على منتقضي أصحاب الرسول

صلى الله عليه وسلم

للامام الحق

محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي

الشهير ببهرق البني

المتوفى سنة ٩٣٠ هـ

رحمه الله

بتحقيق وتصدير

فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ

حسين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

تصدير

بقلم راجي عفو ربه

حسين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أجل الحمد وأوفاه ، والصلاة والسلام على أفضل رسل الله ،
سيدنا محمد بن عبد الله ، الذي بعثه الله للعالمين رحمة ولهداية البشر اصطفا ، وختم
به النبيين فلا نبوة بعده لأحد من خلق الله ، وأنزل معه الكتاب معجزة
خالدة وتبينا لما فيه سعادة الإنسان في أولاه وأخراه ، وعلى آله الأطهار وأصحابه
الأبرار ومن والاه « وبعد » فهذه رسالة مختصرة كتبت كتبتهما في سنة ١٣٣٣ هـ
في (تعاليم الشيعة الاسماعيلية) . للمروفين في التاريخ باسم (الباطنية والقرامطة
والملاحدة) وهم من غلاة الشيعة ، ولهم تاريخ حافل بالاحداث الجسام في الممالك
الإسلامية ودعوات خطيرة تهدف إلى المروق من الإسلام ، وإبطال ما شرعه
الله من الأحكام ، كما أثبتت ذلك وثائق التاريخ وشهدت به انواقع الأيام
ومنها الكتب المؤلفة في الملل والنحل وتاريخ الأمم وبلاد الإسلام ككتاب
« الفرق بين الفرق » للإمام أبي منصور عبد القاهر البغدادي^(١) و (مقدمة)

(١) هو الإمام الكبير الفقيه الاصولي الأديب الشاعر أبو منصور عبد القاهر
ابن طاهر بن محمد التميمي البغدادي من أهل خراسان ورد نيسابور مع أبيه أبي
عبد الله طاهر واشتغل بالعلم ودرس سبعة عشر نوعا من العلوم ودرس على الأستاذ
أبي إسحاق الاسفرائيني وأقعدته مكانه للاملاء واختلف إليه الأئمة وقرأوا عليه
كناصر المروزي وأبي القاسم القشيري صاحب الرسالة وخرج من نيسابور في أيام =

للعلامة الإمام عبد الرحمن ابن خلدون^(١) وكتاب (الخطط المقرزية) « للإمام
تقى الدين أحمد بن علي المعروف بالمقرزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ » وكتاب
(المواقف) للإمام عضد الدين الأيحي^(٢) (وشرحه) للسيد الشريف
الجرجاني^(٣) وغير ذلك من المصادر العلمية والتاريخية الموثوق بها .

== التركمانية وفتنتهم إلى اسفراين فمات بها سنة ٤٢٩ هـ ودفن بجوار أبي إسحاق
الاسفرائيني ، رحمهما الله .

وقد أثنى عليه كثيرا التاج ابن السبكي وعبد الغفار الفارسي والفخر الرازي وذكر
ابن السبكي كثيرا من مؤلفاته ومن أنفعها كتاب الملل والنحل وكتاب أصول الدين
للعروف بالتبصرة البغدادية اهـ ملخصا من تعليقات صديقنا العلامة الشيخ محمد زاهد
الكوثري وكيل المشيخة الاسلامية في الخلافة العثمانية سابقا رحمه الله .

(١) هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي
الفيلسوف المؤرخ المولود سنة ٧٣٢ نشأ بتونس ورحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان
والأندلس ومصرفاً كرمه سلطانها الظاهر برقوق وولي فيها قضاء المالكية وتوفي
فجأة بالقاهرة سنة ٨٠٨ ومقدمته تعد من أصول علم الاجتماع وترجمت هي واجزاء
من تاريخه إلى الفرنسية وغيرها وله مؤلفات كثيرة .

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الأيحي الاصولي من
أهل أيج بفارس ولي القضاء بها . وله تلاميذ عظام وجرت له محنة مع صاحب كرمان
فحبسه بالقلعة ومات بها سنة ٧٥٦ ومن تصانيفه خلاف المواقف العقائد العضدية والرسالة
العضدية في علم الوضع وجواهر الكلام وشرح مختصر ابن الحاجب في الاصول وغيرها .

(٣) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف من كبار
علماء العربية ولد في تاكو (قرب استرا باد) ودرس في شيراز ولما دخلها تيمور
سنة ٧٨٩ فر الجرجاني إلى سمرقند ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور فاقام بها إلى
أن توفي وله نحو خمسين مصنفاً منها شرح المواقف والتعريفات وشرح كتاب
الجفندي في الهيئة وشرح السراجية في الفرائض وحواشي المطول وغير ذلك وتوفي
سنة ٨١٦ هـ .

ولا زالت طوائف الشيعة «الاسماعيلية» داعية لمذهبها منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر، ومنها «طائفة البزارية» في الهند وشرق أفريقيا ووسط آسيا التي يتزعمها «أغاخان» المعروف المدفون سنة ١٩٥٧ م بمقبرته التي أنشأها بأسوان في الديار المصرية وهو مؤسس عصبة المسلمين المنود سنة ١٩٠٦ لتأييدهم الحكم البريطاني بالهند ويتزعمها الآن أبوه من بعده وفي سيرتهما المشهورة في أوروبا وغيرها ما يغني كل باحث بصير، وطائفة (الاسليمانية) في اليمن ويقال لهم المسكارمة و «طائفة الداودية» من بني مرة اليمنيين وبقيمون في عدن والحديدة وجبلى حراز وهمدان وفي الهند وبا كستان وأندونيسيا والهند الصينية والحبشة ويسمون أيضاً البهرة ويتزعمها الآن سلطان البهرة المشهور بالهند كما ذكره العلامة المؤرخ خير الدين الزركلى في كتابه الأعلام.

* * *

ثم أعدت الآن النظر في هذه الرسالة - تهذيباً واختصاراً - حينما فرغت من مطالعة كتاب (الحسام المسلول على منتقى أصحاب الرسول) صلى الله عليه وسلم الامام محمد بن عمر بن مبارك الحميرى الحضرمى الشهير بهجرق اليمنى المتوفى سنة ٩٣٢ هـ الذى ألفه استجابة لأحد كبراء المسلمين فى اليمن حين استصرخه لتفنيد مزاعم داعية خطير من دعاة الاسماعيلية فى اليمن دأب على نشر ضلالاته فى البلاد لفتنة العباد وصددهم عن سبيل الرشاد .

وهو كتاب جليل واف بالفرض المقصود مشتمل على حجج قوية وبراهين دامغة تدحض تلك المفتريات الصارخة .

ثم فكرت فى تحقيقه والتعليق عليه وتبويبه ووضع ترجمات لمباحثه تبيننا للحق ولما فى دعوة هذه الفرقة الضالة من الخروج عن الإسلام وتحذيراً منها وتيسيراً على القارئ وأتممت ذلك بتوفيق الله تعالى فله الحمد والشكر على نعمائه والله المسئول أن ينفع بهما ويحزل المثوبة عليهما بفضله وكرمه ؟

٥ شوال سنة ١٣٨٦ هـ
 ١٦ يناير سنة ١٩٦٧ م

القاهرة فى }

حسين محمد مخلوف

الفرق الاسلامية

قال الامام أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد بن سالم النعاجي الأمدى
الأصولي المتوفى بدمشق سنة ٥٦٣١ هـ ما خلاصته .
« كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقيدة
واحدة وطريقة واحدة إلا من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق ثم نشأ الخلاف
فيما بينهم في أمور أجهادية لا توجب إيماناً ولا كفراً وكان غرضهم منها إقامة
مراسم الدين وإدامة مناهج الشرع القويم كاختلافهم في قتال ما نعى الزكاة .
حتى قال عمر رضي الله عنه « كيف نقاتلهم وقد قال عليه الصلاة والسلام
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » فإذا قالوها عصموا مني
دماءهم وأموالهم » ؟ فقال له أبو بكر رضي الله عنه « وهو الخليفة الأول »
أليس قد قال صلى الله عليه وسلم « إلا بحقها » ؟ ومن حقها إقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة . والله لو منعوني عقلاً لما كانوا يؤدونني إلى النبي صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم عليه ثم اتفقوا بعد ذلك على قتالهم ، وكاختلافهم في الإمامة بدمه والارث
عنه صلى الله عليه وسلم . وفي « الكلاله » وميراث الجد مع الإخوة وغير ذلك
من الأحكام الفروعية .

وكان الخلاف يتدرج ويتسع شيئاً فشيئاً إلى آخر أيام الصحابة حتى ظهر
« معبد الجهني ^(١) وغيلان الدمشقي ^(٢) وعلى الأسواري » . وخالفوا في القدر
وإسناد جميع الأشياء إلى تقدير الله تعالى .

(١) هو معبد بن عبد الله بن عويم الجهني البصري أول من تكلم في القدر بالبصرة قدم
للمدينة فافسد فيها أناساً كثيرين وخرج مع ابن الأشعث على الحجاج فقتله سنة ثمانين .

(٢) هو ابن مسلم القبطي أخذ مذهب القدرية عن معبد واستتابه عمر بن عبد العزيز
فلما مات عمر جاهر برأيه فقتله هشام بن عبد الملك بفتوى الامام الازاعي سنة

ولم يزل الخلاف يتشعب والآراء تتفرق حتى تفرق أهل الإسلام وأرباب المقالات إلى ثلاث وسبعين فرقة كما جاء في الحديث^(١) اه باختصار .

الفرق الإسلامية

والفرق الخارجة عن الإسلام

قال البغدادي في « الفرق بين الفرق » : (إن اسم ملة الإسلام واقع على كل من أقر عن اعتقاد ويقين بحدوث العالم . وتوحيد صانعه وقدمه وعدله وحكمته وسائر صفاته وأسمائه وتقديسه عن كل مالا يليق به سبحانه . وتنزيهه عن الشبه والتعطيل ، وأقر بنبوة جميع أنبيائه وبملائكته وبصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الخلق كافة ، وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق ومنها التسميعات ، وأن القرآن منبع أحكام الشريعة . وبوجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة والزكاة والصوم والحج .

فمن اعتقد ذلك وأقر به فهو من أمة الإسلام وهو الفاجي في الآخرة فإذا شاب إيمانه ببدعة فإن كانت من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الشيعة الإمامية أو الزيدية أو أشباههم ممن لم يُقَلْ ، فهو من أهل ملة الإسلام في بعض الأحكام .

وإن كانت بدعته مكفّرة كبدع الباطنية والحلولية وبعض أصحاب التناسخ والزاعمين نسخ شريعة الإسلام آخر الزمان ، ومن يحرّم ما أباحه القرآن أو يحلّ ما حرمه بنص لا يحتمل التأويل وأشباههم فإنه ليس من أمة الإسلام في شيء .

(١) لهذا الحديث أسانيد كثيرة استوفى الكلام عليها الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الكشف اه .

ثم ذكر للفرق الرئيسية التي تعد من أمة الإسلام ، والفرق الرئيسية التي تنقسم إلى الإسلام وليست منه في شيء وعدّها هذه عشرين فرقة وهي :

« السبائية ، والبيانية ، والحربية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجناحية ، والخطابية ، والغرابية ، والمفوضية ، والحلولية . وأصحاب التناسخ ، والخابطية ، والحارثية ، والمتنعمية ، والرزامية ، واليزيدية ، والميمونية ، والحلاجية ، والمذافرية ، و « الباطنية » .

وربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافا كثيرة بحسب مراء أصحابها اه ملخصا .

ثم ذكر هذه الفرق على التفصيل في فصول مرتبة .
ولا يعنينا هنا من الفرق إلا فرقة الشيعة « الاسماعيلية الباطنية » وهي من غلاة الشيعة باتفاق الباحثين .

مذهب الشيعة وفرقها

من كبار الفرق الإسلامية فرقة الشيعة الذين شابعوا « عليا » رضى الله عنه وقالوا - كما جاء في « المواقف وشرحها » - إنه الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالنص الجلى أو الخفى وأن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيرهم أو بتقية منه أو من أولاده اه .

وذكر ابن خلدون في « مقدمته » أنهم ذهبوا إلى أن الإمامة الكبرى ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى الأمة ويتعين للقائم بها بتعيينهم ، كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة بل هي عندهم ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز للنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بعده بل يجب عليه تعيين إمام لم بعده معصوم من الكبائر والصغائر ، وأنه صلى الله عليه وسلم قد عين علياً

للخلافة بعده فهو الخليفة بعده دون أبي بكر وعمر وعثمان ، واستنفدوا في ذلك إلى نصوص ما بين موضوع مفترى ومؤول على حسب الهوى اه .

وفي المواقف : أن الشيعة افترقوا إلى اثنتين وعشرين فرقة يكفر بعضها بعضها ، واصولهم ثلاث فرق (زيدية ، وإمامية ، وغلاة) ، والزيدية ينتسبون إلى زيد^(١) بن علي زين العابدين بن الحسين السبط رضى الله عنهم وهم ثلاث فرق وأكثرهم باليمن ، والإمامية وهم فرق أيضاً ، والغلاة ثمان عشرة فرقة منهم (الاسماعيلية الباطنية) وجميع الغلاة خارجون عن ملة الإسلام اه ، ثم ذكر هذه الفرق وبين نحلها .

الشيعة الامامية

وفي «المواقف» ما خلاصته أنهم يقولون بالنص الجلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمامة « علي » بعده . دون أبي بكر وعمر وعثمان . ويقعون في الصحابة رضى الله عنهم وخاصة في الشيخين بالقول الفاحش ويسوقون الإمامة من « علي » إلى ابنه « الحسن »^(٢) ثم إلى ابنه « الحسين »^(٣) ثم إلى ابنه « علي زين العابدين » ثم إلى ابنه « محمد الباقر » ثم إلى ابنه « جعفر الصادق » ثم إلى ابنه « موسى الكاظم » ثم إلى ابنه « علي الرضا » ثم إلى ابنه « محمد التقي » ثم إلى ابنه « علي النقي » ثم إلى ابنه « الحسن الزكي » ثم إلى ابنه « محمد العسكري » وهو الإمام الثاني عشر - ويسمون

(١) استشهد رضى الله عنه بالكوفة سنة ١٢١ هـ .

(٢) هو سبط الرسول صلى الله عليه وسلم وريحانته توفى مسموما سنة ٤٩ هـ .

(٣) هو سبط الرسول صلى الله عليه وسلم وريحانته ولد بالمدينة سنة ٤ هـ .

واستشهد بكر بلاء سنة ٦١ هـ .

الاثني عشرية اهـ ، وقد يسمون « الجعفرية » .

وتشعب متأخروهم إلى فرق بعضها من الفرق الضالة . وهم الآن في
إيران والعراق .

الشيعة الإسماعيلية

أما الشيعة الإسماعيلية فالإمام عندهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو
علي ، ثم ابنه الحسن ، ثم ابنه الحسين ، ثم ابنه علي زين العابدين ، ثم ابنه
محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق وبسوقون الإمامة من « جعفر الصادق »
المتوفى بالمدينة سنة ١٤٨ هـ إلى ابنه (اسماعيل) وهو الإمام السابع (دون
موسى الكاظم الذي يذهب الشيعة الإمامية إلى أنه الإمام » السابع بعد أبيه
جعفر الصادق ») . ثم إلى ابنه محمد المكتوم « المتوفى سنة ١٩٨ هـ ببغداد .
ثم إلى ابنه جعفر المصدق المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، ثم إلى ابنه محمد الحبيب المتوفى
سنة ٢٧٠ هـ ، ثم إلى ابنه عبيد الله الملقب بالمهدي مؤسس دولة العلويين بالمغرب .
وجد العبيديين للفاطميين أصحاب مصر على ما ذهب إليه كثير من المؤرخين .
وهؤلاء يسمون الشيعة « الإسماعيلية » نسبة إلى اسماعيل الإمام السابع .
وفي « الفرق بين الفرق » أن الذين ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق
إلى ابنه اسماعيل افترقوا فرقتين فرقة منتظرة لاسماعيل (لزعمها أنه لم يمت
إلى الآن) مع اتفاق المؤرخين على موته في حياة أبيه جعفر سنة ١٤٣ هـ ،
وفرقة تقول إن الإمام بعد جعفر هو محمد بن ابنه اسماعيل حيث إن جعفر
نصب ابنه اسماعيل للإمامة بعده ، فلما مات اسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه
نصب ابنه اسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل ، وإلى هذا القول
يميل الإسماعيلية الباطنية وسند كرم في غلاة الشيعة بعد هذا اهـ .

فيكون الإمام السابع على هذا هو محمد بن اسماعيل وسيأتي ذكره في ترتيب الدعوات وهو أول الأئمة المستورين ولذا لقبوه بالمكتوم لانفاقهم على إخفائه خوفاً عليه من الخلفاء العباسيين ، والثاني ابنه جعفر المصدق ، والثالث ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق .

وقالوا إن الإمام إذا لم يكن له شوكة ومنعة يستقر وتظهر دعائه إرمة للحجة على أنفاس . وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته . . ولما آلت الخلافة بدموت محمد الحبيب إلى ابنه عبيد الله وكانت له منعة ظهر وأظهر دعوته وتم له ملك القيروان والمغرب وتلقب بالمهدي وخطب له على المنابر وبني «المهديّة» بالقيروان وملك أبناؤه من بعده مصر وهم القاطميون .

وقد أضح المقيزي ذلك بقوله : كان محمد الحبيب بن جعفر المصدق يؤمل ظهوره وأن تصير له دولة وكان باليمن من أهل هذا المذهب كثير ، وبعدن وبأفريقية وكتامة بالمغرب من عهد جعفر الصادق فقدم عليه رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي سنة ٢٦٨ هـ فأظهرا أمرهما باليمن وأشهرتا الدعوة سنة ٢٧٠ هـ وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث دعائه في أقطار الأرض وكان منهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي الملقب بالمعلم وكان من الدهاة الشجعان فسيره إلى المغرب فخرج حاجاً وقصد حجاج كتامة واختلط بهم ثم صطحهم إلى كتامة في منتصف ربيع الأول سنة ٢٨٨ هـ وعظم أمره فيهم ، ثم توفي محمد الحبيب بعد أن عهد بالإمامة بعده لابنه «عبيد الله» فدعا إلى إمامته أبو عبد الله الشيعي «قطابه المكتفي العباسي وكان عبيد الله يسكن «عسكر مكرم» فسار إلى مصر ثم إلى الشام ثم إلى المغرب . وأقام بسجلماسة هو وابنه أبو القاسم نزار فقبض عليهما صاحبها اليعس بن مدرار وزجهما في السجن .

ولما تغلب أبو عبد الله الشيعي على بني الأغلب وملك القيروان ونزل

برقادة « مستهل رجب سنة ٨٢٩٦ هـ » سار منها في شهر رمضان من هذه السنة في جيوش عظيمة اهتز لها المغرب بأسره إلى سجلماسة وقهر صاحبها حتى فر منها في خاصته . ودخلها فاتحاً . وأخرج عبيد الله وابنه من السجن ومشى في ركابهما بجميع رؤساء القبائل حتى وصلهما إلى فسطاط ضربه بالمسكر فأنزلهما فيه وتلقب صاحب سجلماسة فأدركه وقتله .

وأقام عبيد الله بسجلماسة « أربعين يوماً » ثم سار إلى أفريقية في ربيع الآخر سنة ٨٢٩٧ هـ ونزل برقادة عاصمة آخر ملوك الأغالبة وخطب له على المنابر وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين . فدعى له في جميع البلاد بذلك ودعا الدعاة الناس إلى مذهبهم ونظم الملك ودون الدواوين وجبى الأموال ودانت له البلاد فشق ذلك على أبي عبد الله الشيبى وأخيه أبي العباس وناقساه وحقدا عليه ووقعوا فيه ودبروا قتله فقتلوا بأمر عبيد الله المهدي في منتصف جمادى الآخرة سنة ٨٢٩٨ هـ بمدينة رقادة واستقام له الأمر وبنى المهدي بالقيروان وأقام لها سوراً وجعل فيه أبواباً زينة كل مصراع منها مائة قنطار من الحديد واتخذها مقراً للمسكة .

وكان ابتداء بنائها في ذى القعدة سنة ٣٠٣ هـ وبنى المصلى بظاهرها وجهز جيشاً بقيادة ابنه أبي القاسم إلى مصر سنة ٣٠٦ هـ فأخذ الاسكندرية وجزيرة الاشمونين وكثيراً من بلاد الصعيد ثم عاد إلى المغرب .

وفي منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ توفي عبيد الله المهدي بالمهديّة عن ثلاث وستين سنة وكانت مدة إمامته أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً .

وهو كما قدمنا مؤسس دولة العبّيديين بالمغرب وجد الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدي إلى أن مات العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله وهو آخرهم ٢٧٢ سنة وأياماً ، منها بمصر ٢٦٨ سنة فسبحان الدائم الباقي .

تذنيه

وقع بين المؤرخين خلاف كبير في (عبيد الله المهدي) هل هو حقيقة ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء فيكون من السلالة النبوية ، أو هو دعوى في هذا النسب وهو في الواقع سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديسان المعروف بالقداح الأهوازي المجوسي الأصل فغير اسم نفسه ونسبه وزعم لاتباعه أنه عبيد الله بن محمد بن جعفر المصدق .

ذهب إلى القول الأول جمع منهم الإمام المقرئ في الخلط وهو ما ذكرناه في صدر البحث واعتمده .

وذهب إلى الثاني الإمام البغدادي في الفرق بين الفرق وآخرون وقال صديقنا العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله في تعايقه عليه : وجمهور أهل العلم على أنه دعوى في النسب إلى آل البيت بل هو سليل ميمون القداح كما يظهر من كلام أبي عبد الله بن رزام من علماء القرن الرابع وثقات أصحاب أبي الحسن الكرخي وابن الأخشيد وهو متقدم بدهر على إصدار المحضر المعروف من بغداد إذ ألف كتابه حوالي سنة ٣٣٣ هـ ثم رد على المقرئ ما هو ملخصاً وهو يشير إلى ذلك المحضر الذي حرر في بغداد بتوقيع من أئمة الإسلام إذ ذلك ينفي نسبه من الشجرة النبوية في سنة ٤٠٢ هـ أيام الخليفة القادر العباسي ومنهم الشريفان الرضي والمرتضى وأبو حامد الأسفرايني والقدرى .

وقد ذكره المقرئ وقال إنهم شهدوا على السماع من شيعة العباسيين وهم خصوم الفاطميين .

وكيفما كان الواقع فالشيعة الإسماعيلية غلاة في عقيدتهم مارقون من الإسلام بانفاق المؤرخين يدينون بما لا يمكن أن يقوله آل بيت النبوة أو

يرضوا به بحال وأما تشيعهم لآل البيت فظاهر أنه ليس حبا في علي ولا في
أبنائه ولا في آل البيت وإنما هو ذريعة دبروها لبلوغ أهدافهم الخبيثة التي
يسرونها ولا يظهرونها إلا لمن أخذوا عليه العهد والميثاق ألا يفشي لهم سرا
وستذكرها فيما بعد .

ألقاب الإسماعيلية

ولطائفة الإسماعيلية سبعة ألقاب :

(١) الباطنية . لقولهم إن للقرآن ظاهرا وباطنا . والمراد بباطنه ونسبة
الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر والتمسك بظاهره معذب بالمشقة في
الاكتساب وباطنه مؤد إلى ترك العمل بظاهره .

(٢) الفرامطة : نسبة إلى داعية خطير إلى مذهبهم ورئيس من أكبر
رؤسائهم يسمى (حمدان قرمط) « وقرمط إحدى قرى واسط » .

(٣) الحرمية : لباحثهم الحرمات والمحارم .

(٤) السبعية : لزعمهم أن النطقاء بالشرائع سبعة : (آدم ونوح وإبراهيم
وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام) . ومحمد سابع النطقاء « يعنون
سبحر بن إسماعيل بن جعفر الصادق » وبين كل اثنين من السبعة النطقاء سبعة
أئمة يتممون شريعته بسمون الصامتين كما سيأتى .

ولا مد في كل عصر من سبعة بهم يقتدى ويهتدى في الدين وهم :

(أ) إمام يؤدى عن الله وهو غاية الأدلة إلى دين الله .

(ب) وحجة يؤدى عن الإمام ويحمل علمه ويحتج به له .

(ج) وذو مصة يمص للعلم من الحجة .

وأبواب وهم أربعة :

(د) داع أكبر يرفع درجات المؤمنين عنده .

(هـ) وداع مأذون . يأخذ المهود على الطالبين من أهل الظاهر ليدخلهم في ذمة الإمام ويفتح لهم باب العلم والمعرفة .

(و) ومكلا ارتفعت درجته في الدين ولكن لم يؤذن له في الدعوة بل في الاحتجاج على الناس والترغيب في الداعي .

(ز) ومؤمن يتبع الداعي وهو الذي أخذ عليه العهد وآمن به وأيقن بالدعوة ودخل في ذمة الإمام وحزبه .

وذلك كالسموات السبع والأرضين السبع وأيام الأسبوع والكواكب السبعة السيارة .

(٥) والبابكية : لاتباع طائفة منهم « بابك الخرمي » الذي ظهر في جبل البدين بفاحية آذر بيجان واستباح هو وأتباعه الحرمات وقتلوا كثيرا من المسلمين وحارب خلفاء بني العباس إلى أن قتل هو وأخوه اسحاق بن إبراهيم بسر من رأى في عهد المقتدر العباسي قال ابن عزم وعم شر مذهب الإسماعيلية ومن كان على قول القرامطة وبني عبيد وعنه رهم اهـ .

(٦) والحميرة : للبهيم الثياب الحمراء في أيام « بابك » .

(٧) والاسماعيلية : لاتباعهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق . وقيل لاتباعهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق اهـ من المواقف وشرحها . قال ابن خلدون : وكما يسمون الإسماعيلية والباطنية لقولهم بالإمام الباطن أي المستور يسمون (الملحدة) لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد اهـ .

نحلة الإسماعيلية الباطنية

قال البغدادي في الفرق بين الفرق : إن الإسماعيلية الباطنية من غلاة الشيعة وهم دهرية زنادقة يقولون بقدوم العالم ويجحدون الصانع وينكرون

الرسول والشرائع والبعث والجزاء والمعجزات ويستبيحون سائر الحرمات ويؤولون الشرائع كتأويلهم الصلاة بموالاة الإمام والحج بزيارته والصوم بالإمساك عن إفشاء سره والزنى الحرم بإفشاء سرهم بغير عهد وميثاق إلى غير ذلك .

ودعوتهم مارقة عن الإسلام ويكفرون أبابكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة وأن ضررهم على الإسلام أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس ، وقد جاء في رسالة عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي شيء كثير من هذا وغيره مما هو أخفش ، ومن زعمائهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح . وكان مجوسيا من سبي الأهواز وابنه عبد الله وعبيد الله بن الحسين القيرواني ومحمد بن الحسين الملقب بدندان وحمدان بن الأشعث الملقب بقرمط ومحمد بن أحمد للنسفي المعروف بالبرزدي صاحب كتاب المحصول وأبو يعقوب السجزي المعروف ببندانه صاحب كتاب تأويل الشرائع وكتاب كشف الأسرار وغيرها .

ودعوتهم ترمي إلى إحياء المجوسية وسبيلهم لذلك تأويل القرآن والسنة وقولهم إن لا كتاب ظاهرا وباطنا وأن ظاهره عذاب وباطنه رحمة اه ملخصا .

* * *

وقال للعضد في المواقف وشارحها :

إنهم من غلاة الشيعة وأصل دعوتهم لإبطال الشرائع ورأسهم في ذلك حمدان قرمط وقيل عبد الله بن ميمون القداح وإنهم قد اجتمعوا فتذكروا ما كان عليه أسلافهم المجوس من الملك والسلطان وأنه لا سبيل لهم إلى دفع المسلمين بالسيف لغالبيتهم واستيلائهم على الممالك فلا بد أن يقاتلوا بتأويل شرائع الإسلام إلى ما يعود إلى قواعدهم واستدراج عوام المسلمين وضعفائهم إليها ولا بد أن ذلك يذهب ريحهم ويضعف شأنهم ويسهل بعد ذلك أمرهم اه ملخصا بإيضاح .

تاريخ بعض مؤسسي مذهب الإسماعيلية

ويحسن بنا أن نذكر هنا نبذة من تاريخ بعض مؤسسي مذهب الإسماعيلية الباطنية ودعاتهم نقلاً عن المصادر التاريخية الوثيقة فنقول :

قال العلامة المقرئ : إن ابتداء هذه الدعوة ينسب إلى (ميمون بن ديصان القداح) وكان مجوسياً من سبي الالهواز وكان مولى لجعفر الصادق ومن غلاة الشيعة وإليه تنسب فرقة الميمونية .

وكان له ولد اسمه (عبد الله) اطلع على مقالات المنحرفين عن الإسلام والفلاسفة الأقدمين وأعجب بها فانتحل مذهب الباطنية على هذه المبادئ ودعا إليه ورتب الدعوة إليه في مراتب متتابة تنتهى بمن يستجيب لها إلى اعتناق مذهبه والخروج من الإسلام .

وجعل مفتاحها الدعوة إلى إمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وأظهر دعوته بالآهواز وأثرى بها واشتهر . ولما أنكر عليه الناس وهُجوا به فرّ إلى البصرة ومعه من أصحابه الحسين الأهوازي ثم إلى الشام وأقام بسلمية من بلاد سوريا .

وبعد موته قام بالدعوة ابنه (أحمد) وسير الحسين الأهوازي داعية إلى العراق فلقب (حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط) فدعاه واستجاب له وكان من أمره ما هو مذكور في أخبار القرامطة .

ولما مات أحمد قام بالدعوة بعده ابنه (الحسين) ثم ابنه الآخر (محمد أبو الشاه) وكان من أمرها ما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب وانتشرت الدعوة في الأقطار ووضعت لها الكتب وصارت علما مدونا ثم اضمحلت بموت أهلها اه
ملخصاً .

* * *

ومن المؤسسين لهذا المذهب (محمد بن الحسين الملقب بدندان) من أهالي
السكرخ ، اجتمع هو ورفاقه مع (ميمون القداح) في سجن والى العراق فأسسوا
فيه مذهب الباطنية ثم أظهروا دعوتهم بعد الخروج من السجن فاستجاب لها
بعض أكراد الجبل وأهل جبل البدن ودخل في دعوتهم (حمدان بن الأشعث
المعروف بقرمط) ثم أصبح رئيساً من رؤوس المذهب وعرف أتباعه باسم القرامطة.
ولما مات دندان قام بعده بالدعوة (أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي)
« نسبة إلى جنابه من بلاد فارس » القرمطى وكان دقاقاً ونفى من جنابه فأقام
بالبحرين .

وجعل يدعو العرب إلى مذهبه فمعظم أمره لخاربه الخليفة فظفر الحسن
ثم صافاه المقتدر العباسى واستولى على سائر بلاد البحرين ثم قتل خادم له
صقابي راوده عن نفسه في الحمام سنة ٣٠١ هـ . أعلام . والفرق بين الفرق .

* * *

(ومنهم) حفيد لميمون القداح اسمه (أبو القاسم بن مهرويه القرمطى)
خرج بالشام داعية سنة ٢٨٩ هـ ودخل أتباعه الرصافة وقتلوا كثيراً وأحرقوا
مسجدها الجامع ثم قصدوا دمشق فخاربههم جيش الخليفة المскتنفى فهزمهم
إلى الرقة ثم إلى الرملة فتمتعهم الجيش وأسر هو وأتباعه وقتلوا ببغداد .

* * *

ثم خدت شوكة القرامطة إلى سنة ٣١٠ وظهر بعدها (أبو طاهر سليمان
ابن الحسن بن بهرام الجنابي القرمطى) .

وهو طاغية جبار وصفه الإمام الذهبي بأنه عدو الله ، وأبن الأعرابي بأنه
زنديق استولى أبوه على هجر والاحساء وقطيف وسائر بلاد البحرين ثم هلك
سنة ٣٠١ فولى ابنه مكانه ووثب على البصرة سنة ٣١١ فنهبها وسبي نساءها

ثم أغار على الكوفة في عهد المقتدر العباسي سنة ٣١٢ فنهبها ثم استولى على
الرحبة وربض الرقة ودعا إلى المهدي وأغار على مكة يوم التروية سنة ٣١٧
والفاس محرمون فاقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر ونهب أموال الحجاج
وقتل الكثيرين منهم في الطواف وعرق البيت الحرام وأخذ بابه وردم
زعم بالقتل وعاد إلى هجر فألقاه بعض أصحابه وزعم بعضهم أنه المسيح
ثم هلك بالجدري في هجر سنة ٣١٨ .

أما الحجر الأسود فقد أرسل من هجر إلى الكوفة ثم رد منها إلى مكة
على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي النيسابوري سنة ٣٣٩ هـ
أعلام والفرق بين الفرق .

* * *

(ومنهم) (ابن أبي زكريا الطامى القرمطى) الذى ظهر بالإحساء
والبحرين بعد سليمان بن الحسن سنة ٣١٩ فأنفد فى البلاد وحث لأتباعه
اللواط وأوجب قتل الغلام الذى يأباه وأمر بقطع يد من أطفأ نارا بيده
ولسان من أطفأها بنفخه ليقديسه النار التى يمهدها الجوس وقد طالبت فتنته حتى
سلط الله عليه من ذبحه على فراشه هـ من الفرق .

* * *

وفى « الموسوعة العربية الميسرة » : أن القرامطة أصحاب دعوة زعزعت
العالم الإسلامى سنة ٩٠١ . وكان رأسهم (حمدان بن الأشعث القرمطى)
انتشرت دعوته الاسماعلية باليمن سنة ٩٠٤ م بواسطة (على بن الفضل الحميرى)
اليمنى الأصل ومنصور بن حسن الكوفى واستولى الأول على ذمار وصنعاء
سنة ٩٠٦ م وتغلب على جيوش الهادى العباسى وقامت فى اليمن حروب كثيرة
واستباح كثيرا من الحرمات وادعى النبوة ولم تهدأ البلاد إلا بموته مسموما فى
سنة ٩١٥ م .

وأما منصور بن حسن فقد تغلب على جزء من اليمن واتخذ مركزه في (مسور) .

وللقرامطة أتباع يعرفون باسم (المسكارمة) أو الباطنية ، وكثير منهم يعيش في حراز وعلى مقربة من صنعاء وقد قضى على نفوذهم الإمام ابن حميد الدين بعد توليه الملك باليمن اهـ .

(على بن الفضل)

قال في ترجمته العلامة الزركلي : إنه أحد المتغلبين على اليمن ، وكان أول ظهوره في (مسور) في كوكبان باليمن وأظهر دعوته للمهدي المنتظر سنة ٨٢٩٠ هـ فتبعه كثيرون وملايك ملوكا ضحوا وقتل كثيرين واستولى على الجبال والهاشم ثم دخل زبيد وصنعاء وأدعى النبوة وأباح الحرمات ومات مسموما سنة ٨٣٠٣ هـ (وسيأتي بعض فضائحه في الكتاب) .

وفي كتاب المسجد المسبوك : أنه من ولد خنفرى بن سبأ بن ضبعى رحل من اليمن إلى الكوفة وتعلم مذهب الاسماعيلية وعاد إلى اليمن داعيا اهـ .
وفي كتاب الحور العين : أنه استولى على كثير من مخاليف اليمن وهو أول من سنّ القرمطة أى الزندقة بلسان أهل اليمن اهـ .

وفي نزهة المجالس : أنه صاحب الأبيات المشهورة التى أولها :

* خذى الدف يا هذه واضربى *

وستأتى في الكتاب وقد تمثل بها المعرى في رسالة للغفران طبعة المعارف ٣٧٣ وهو في كشف أخبار الباطنية « الجدنى » نسبة إلى ذى جدن من سبأ .

وفيه : كان أول أمره إماميا أثنى عشريا من أهل جيشان وحج وزار الكوفة ولقى فيها ميمونا القداح وولده عبد الله وأدخله ميمون في مذهب

القرمطة فعاد إلى اليمن وأظهر التنسك والعبادة ودعا الناس إلى ترك المعاصي فالتفتوا حوله ووجههم إلى بعض الجهات فخاروا وغنموا وأفهمهم أن هذا جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في الدين واشتد بأسهم وعظم أمرهم في بلاد يافع وأطاعته قبائل مذحج وزبيد وغيرها واستولى على بلاد يحصب ثم دخل صنعاء وأظهر فيها مذهبه ودعوته (التي أخفاها بالتنسك السكاذب) اهـ بإيضاح .

مراتب الدعوة عند الباطنية الإسماعيلية

نظم الإسماعيليون دعوتهم إلى نحلتهم تنظيماً دقيقاً فجعلوها على مراحل متعاقبة بحيث لا يترك الداعي مرحلة إلى أخرى حتى يتأكد من بلوغ غايته في السابقة وتتهيأ المدعو لتلقى الدعوة اللاحقة وهو في كل مرحلة يؤكد ويكرر ويسوق الشواهد والدلائل من الآيات التي يؤيدها على ما يوافق هواه ومن غير الآيات حسبما يراه ولا يستطيل الزمن ولا يعمل التكرار ولا يقصر عن جهد في ذلك .

وقد أعدوا للدعوة دعاة ماهرين مدربين على غاية من الذكاء والفطنة والخبرة بأحوال العامة وطبائع النفوس ونزعاتها وطرق اجتذابها والتأثير فيها مع التدرج والأناة والرفق والاحتياط في كل ذلك .

فإذا المدعو في آخر مراحلها قد انخلع مما ألفه وشب عليه وانجذب وأنقاد لما ألقى إليه .

وإذا هو قد خلع من عنقه ربة الاسلام . واستعمال زنديقا باطنيا يكره الحلال ويعشق الحرام :

وقد نظموا الدعوة في عهد الدولة الفاطمية بمصر تنظيماً أوفى وأدق فجعلوها تسع مراتب أخذوا بعضها برقاب بعض كل مرتبة تنبئ على ما قبلها وتمهد

لما بعدها وكلها تقوم على التشكيك والتلبيس والخداع ومسح الحقائق والاشادة بتماميم الفلاسفة الاغريقين التي لاتستند إلى برهان صحيح ولا شرع منزل ، وعلى أن القرآن ظاهراً وباطناً ، وأن للشيعة أسراراً خاصة وتأويلات لا يعلمها سوى الأئمة ومن يصطفونه من الدعاة ، وأنها رموز وإشارات لا يعرفها إلا أهلها المقربون ، وغايتها التي يهدفون إليها التحلل من جميع التكاليف الشرعية والإباحة العامة .

ولا بأس أن نذكر خلاصة هذه الدعوات ومراتبها نقلاً عن العضد والبغدادي والمقرئزي ، والأخير خاص بنظام الدعوة في عهد الفاطميين بمصر .

* * *

قال صاحب المواقف : للدعوة عند الشيعة الاسماعيلية مراتب متتابعة :

(الأولى) الذوق . وهو تفرُّس حال المدعو لمعرفة قبوله للدعوة أو عدمه ولذلك يقولون : تورية - لاتلقى البذر في الأرض السبخة . ولا تتكلم في بيت فيه سراج .

(الثانية) التأنيس . باستمالة كل مدعو بما يميل إليه هواه وطبعه ولو بالمحرّمات .

(الثالثة) التشكيك في أركان الشريعة بقولهم : ما معنى الحروف المقطعة في أوائل السور . وقضاء الحائض الصوم دون الصلاة . والغسل من المنى دون البول . واختلاف عدد الركعات في الصلاة ؟ وغير ذلك . ثم طيُّ الجواب عن ذلك . لئيملق قلب المدعو بمراجعةتهم والاستفادة منهم .

(الرابعة) الربط : وهو أخذ الميثاق على المدعو - كما أخذ على النبيين معشائهم - ألا يفشى لهم سرا ثم حوالته على الإمام لحل ما أشكل عليه .

(الخامسة) التذليل . وهو دعوى موافقة أكابر الدنيا والدين لهم حتى يزداد ميله إلى مادعى إليه .

(السادسة) التأسيس : وهو تمهيد مقدمات يقبلها المدعو ويسلمها .

(السابعة) الخلع : وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال التكليفية البدنية .

(الثامنة) السلخ : عن الاعتقادات الدينية . وحينئذ يأخذون في إباحة المحرمات بأسرها والحث على استعمال اللذات وتأويل الشرائع .

* * *

وحيث ظهر (الحسن بن محمد الصباح) جدد الدعوة على أنه « الحجة » ومنع العامة من الخوض في العلوم والخواص من النظر في الكتب المتقدمة كيلا يطلعوا على فضائلهم . ولم يزالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأمور الشرعية فاسقطوا التكاليف وأباحوا المحرمات . وكثرت شوكتهم وأظهروا الفساد في الأرض :
اه ملخصا من المواقف .

* * *

وقال في الاعلام (الحسن بن الصباح بن علي الاسماعيلي) المولود سنة ٤٢٨ هـ والمتوفى سنة ٥١٨ هـ داهية شجاع أصله يمني من حمير ولد في مرو وتلمذ لأحمد بن عطاءش بن أعيان الباطنية في عهد مالك شاه السلاجوقي ثم كان مقدم الاسماعيلية باصبهان وطاف البلاد ودخل مصر وأكرمه المستنصر العاطمي فعاد داعيا إلى إمامته في الشام والجزيرة وديار بكر والروم وخراسان وما وراء النهر ثم استولى على قلعة الموت بنواحي قزوين وضم إليها عدة قلاع وبقي بها إلى وفاته وهو صاحب الدعوة النزارية (نسبة إلى نزار بن المقتدر لدين الله العاطمي ولم يخلص المسلمين من شره إلا هو لاكو المغولي سنة ١٢٥٦ م كافي الموسوعة العربية الميسرة) وكان من كبار الزنادقة ودهاة العالم ومن بقاياهم اليوم في الهند الأغاخانية

يتزعمونها بالوراثه ولهم كتب ضالة وهو رأس فرقة الحشاشين والغدائية اهـ

* * *

وقال ابن خلدون : وللإسماعيلية مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملاك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيهما إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانقرضت ، ومثاليه مذكورة في كتب الملل والنحل اهـ .

* * *

وقال البغدادي : إن مراتب الدعوة عندهم هي التفرس والتأنيس والتشكيك والربط والتعليق والتدليس والتأسيس وأخذ اليهود والمواثق بالآيمان المغلظة السكثيرة وآخرها الخلع والسلخ بالتأويلات للنصوص التشريعية التي تنهى بالزندقة واستباحة المحرمات وترك العبادات وإبطال شرائع الاسلام اهـ .
ثم أسهب فيها القول فأرجع اليه إن شئت .

كلام المقرئ في الدعوة الإسماعيلية بمصر ومراتبها

قال المقرئ ما خلاصته : إنه كان من المناصب الكبرى التي استحدثتها الدولة الفاطمية بمصر منصب داعي الدعوة وكان يلي في الرياسة قاضي القضاة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره ، وله نواب كنواب الحكم في سائر البلاد ، وله أئمة عشر نقيباً ، ويحضر اليه فقهاء الدولة في مكان يدعى (دار العلم) وتجري على المتصدرين منهم أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يدونون ما يراد نشره في دفتر (سجل) يدعى (مجلس الحكمة) ثم يعرضونه عليه في كل يوم اثنين وخميس فيعرضه على الخليفة لامضائه بخطه ثم يجلس بالقصر في هذين اليومين لتلاوته على الناس في مكانين ، للرجال على كرسى الدعوة بالايوان الكبير ، وللنساء بمجلس

الداعى وهو من أعظم المبائى وأوسها فإذا فرغ من التلاوة أقبل الحاضرون عليه يقبلون يديه فيمسح رؤوسهم بموضع خط الخليفة ويأخذ النجوى من كل واحد وهى ثلاثة دراهم وثلاث درهم ثم يقدم ما اجتمع منها إلى الخليفة فيعطيه منها ما يعينه لنفسه وللإقبياء .

ومن يقدم له ٣٣ ٢ دينار على حكم النجوى برقعة مكتوب عليها اسم يتميز فى المجلس ويمطى كتابا بخط الخليفة فيه « بارك الله فيك وفى مالك ووالدك ودينك » فيدخره عنده ويفاخر به ، وكان داعى للدعاة يفرد للخاصة وشيوخ الدولة وخدم القصور مجلسا ، ولعوام الناس والطارئين على البلد مجلسا وللنساء فى الجامع الأزهر مجلسا ، وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا وكان يعمل المجالس فى داره ثم ينفذها إلى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتباً يبيضونها بعد عرضها على الخليفة ويقبض فى كل اجتماع ما يقدم من النجوى ويدفعه إلى بيت المال تباعا وكانت هذه المجالس تسمى (مجالس الخدمة) :

ثم ذكر الدعوات التسع على الترتيب وهى :

(الدعوة الأولى) :

يبدأ الداعى بسؤال المدعو عن المشكلات الدينية ومعانى الأمور الشرعية وعن شئ من الطبعيات والأمور العامة ويدعه يفكر فيها طويلا ثم يقرر له أن الدين مستور وأكثر الناس به جاهلون ، وعلمه خص الله به الأئمة ، ويشوقه إلى المعرفة فإذا وجده مقبلا عليها أخذ فى ذكر معانى شرائع الدين وأفهمه أن آفة الناس الاعراضُ عن الأئمة القائمين بأمر الدين وحفظه ومعرفة بواطنه وأسراره وتقليدُ السفلة وطاعةُ الكبراء طلبا للندى وتغييرُ كتاب الله وصفة رسوله ومخالفةُ دعوته وإفسادُ شريعته ومعاندةُ خلفائه من بعده .

ثم يأخذ فى مدح الإسلام وأنه ما جاء بالامانى ولا بالشهوات ولا بما خف

على الألسنة وعرفه دهاء العامة ولا يكتفه . علم غامض ستره الله في حجبهِ وعظم شأنه عن ابتذال أسرارهِ فهو سر الله المكتوم الذي لا يطيق حمله إلا ملك مقرب أو بنى مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للثبوت . وما يزال به حتى يتملق بالداعى .

ثم يمرض كثيراً من المشكلات ويحتمل على النظر والتفكير ويستشهد ببعض الآيات الواردة في ذلك ، فإذا علم حرص المدعو على المعرفة أمره بالتأني وأعلمه أن دين الله أعز من أن يبذل لغير أهله . وقد جرت سنة الله بأخذ العهد على رسله وأخذهم العهد على من يرشدونه فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بيمينك من الإيمان أن لا تنفشي لنا سراً ولا تظاهروا علينا أحداً ولا تطلب لنا غيلة ، ولا تكتنمنا نصحاً ولا توالى لنا عدواً .

(وقد ذكر المقرئ صيغة اليمين وهي طويلة كما ذكرها البندادى) .
فإذا حلف بالصيغة المرسومة طلب منه جُعلاً من المال بحسب ما يراه فإذا أعطى للداعى الجعل انتقل إليه إلى الدعوة الثانية .

(الدعوة الثانية) :

وفيها يقول الداعى إن الله لا يرضى في إقامة حقهِ وشرعهِ إلا أن يؤخذ عن الأئمة الذين نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته ، ويمضى في تقرير ذلك مستدلاً عليه بأُمور مقررّة في كتبهم حتى يرسخ ذلك الاعتقاد في نفس المدعو فإذا اعتقد ذلك نقله إلى الدعوة الثالثة .

(الدعوة الثالثة) :

وفيها يقرر له أن الأئمة سبعة رتبهم الله كما رتب السبعيات المعروفة أولهم على بن أبى طالب والسابع إسماعيل بن جعفر وبذلك ينحل عن معتقد الإمامية ثم

يأخذ في ذم باقي الأئمة الاثني عشرية من موسى الكاظم إلى محمد بن الحسن العسكري .

ثم يقرر له أن الإمام السابع هو المختص بعلم بواطن الشريعة وعلم التأويل وعنده سر الله المكتوم وأن دعااته هم الوارثون لذلك كله عنه دون سائر الشيعة

(الدعوة الرابعة) :

وفيها يقرر الداعي أن الأنبياء للناطقين بالشرائع الفاسخين لشرائع من سبقهم سبعة كمعد الأئمة ولكل واحد صاحب يأخذ عنه دعوته ويظاهاه في حياته ويخلفه بعد موته إلى أن يبلغ شريعته لمن يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه وهم جرا إلى أن ينتهي العدد إلى سبعة ويقال لهم السبعة الصامتون لثمانهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أولهم ويسمى (السوس) .

ولا بد عند انقضاء دور هؤلاء السبعة من استفتاح دور آخر يظهر فيه نبي ينسخ شريعة النبي السابق وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع السابقة ويكون صاحب الزمان الأخير .

فكان أول السبعة النطقاء آدم وسوسه أبنة شيث وليه ستة صامتون وثاني النطقاء نوح وسوسه ابنة سام وثالثهم إبراهيم وسوسه ابنة إسماعيل ورابعهم موسى وسوسه أخوه هارون وخامسهم عيسى وسوسه شمعون الصفا وسادسهم محمد (صلى الله عليه وسلم) وسوسه علي بن أبي طالب وبعده ستة صامتون على الشريعة الحمديدية وهم علي الترتيب ابنة الحسن ثم ابنة الحسين ثم ابنة علي زين العابدين ثم ابنة محمد الباقر ثم ابنة جعفر الصادق ثم ابنة إسماعيل وهو آخر الصمت والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وهو عند هؤلاء الاسماعيلية محمد بن إسماعيل بن جعفر وهو الذي شريعته ناسخة لشرائع الستة النطقاء قبله

والذى انتهى إليه علم الأولين وقام بعلم بواطن الأمور وكشفها وإليه وخذ
المرجع فى تفسيرها وعلى جميع الناس اتباعه والخضوع له لان الهداية فى موافقته
والضلال والخيرة فى العدول عنه .

فإذا أعتقد المدعو ذلك انتقل به الداعى إلى الدعوة الخامسة .

(الدعوة الخامسة) :

وفىها يقرر الداعى أنه لا بد مع كل إمام قائم فى كل عصر من حجج
متفرقين فى جميع الأرض عدتهم اثنا عشر رجلا فى كل زمان كما أن عدد الأئمة
سبعة بدليل أن الله خلق النجوم التى عليها قوام العالم سبعة ، والسموات
سبعاً والأرضيين سبعاً وجعل البروج اثني عشر وكذا الشهور ونقباء بنى
إسرائيل ونقباء الرسول صلى الله عليه وسلم من الانصار وجعل فقرات الظاهر
اثنتى عشرة وفقرات العنق سبعاً .

فإذا تقرر ذلك فى نفس المدعو نقله الداعى إلى الدعوة السادسة .

(الدعوة السادسة) :

وفى هذه الدعوة يأخذ الداعى فى تفسير معانى شرائع الإسلام من الصلاة
والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك بامور مخالفة للظاهر مع تمهيد قواعد
(تشرح فى أزمنة فى غير عجلة) تؤدى إلى أن هذه الأشياء وضعت على
جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشغلوا بها عن بغى بعضهم على
بعض ولتصددهم عن الفساد فى الأرض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة فى حسن
سياستهم لأتباعهم وإتقاناً منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن
هذا الاعتقاد فى نفس المدعو .

فإذا طال الزمان واعتقد المدعو ذلك نقله الداعى إلى الكلام فى الفلسفة

وحضه على النظر في مقالات افلاطون وارسطو وفيثاغورس واضرابهم من فلاسفة اليونان ونهاه عن قبول ما يخالفها من السمعيات فإذا اطمأن إلى ذلك وإلى رفضه السمعيات وهى من أمم تعاليم الإسلام نقله إلى الدعوة السابعة .

(الدعوة السابعة) :

وقبل الدخول فيها لابد أن يتأكد الداعى من تأهل المدعو إلى قبولها واستعداده لتلقيها فإذا تأكد من ذلك قال له : إن الناصب للشريعة لا يستغنى بنفسه ولا بد له من صاحب معه بمعرفته وهذا إنما هو إشارة العالم السفلى لما يحويه العالم العلوى فإن مدبر الكون قد صدر عنه أول موجود بغير واسطة حيث قال له كن فكان ثم يفيض في هذا الكلام المعنى المأخوذ أصله من كلام الفلاسفة اليونانيين القائلين بأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد (راجع الموقف وأمثالها) إلى أن يقول المدعو إن كنت من أهل هذا الكلام ورضت نفسك عليه ظهر لك ما ذكرت فإذا تقرر عنده ما ذكر نقله إلى الدعوة الثامنة .

(الدعوة الثامنة) :

وفيها يقول الداعى إن مدبر العالم إنما تقدم على المصادر عنه الأول تقدم العلة على المعلول ثم كانت الاعيان كلها صادرة عن المصادر الثانى بترتيب معروف فى كتب الفلسفة ومع ذلك فالسابق عندهم ليس له اسم ولا صفة ولا يعبر عنه فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز لأن الإثبات عندهم يقتضى الشراكة بينه وبين المحدثات والنفى يقتضى التعطيل وإنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلته والمحدث خلقه وفطرته .

فإذا استقر ذلك عند المدعو قرر له أن التالى يدأب فى أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت فى الأرض يدأب فى أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق

تماما وأن الداعى يدأب فى أعماله حتى يبلغ منزله السوس وهكذا تجرى أمور العالم فى أدواره ولهذا المقام بسط كبير .

فاذا اعتقده المدعو قرر له الداعى أن معجزة النبي الفاطق ليست إلا أشياء تنظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوى معانى فلسفية عالية فتارة يعبر عنها برموز يعقها العالمون وتارة بأفصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ثم يقرر للمدعو أن للقيامه والقرآن والنواب والعقاب معانى غير ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر للأذهان وليست هى إلا حدوث أدوار بعد أدوار من أدوار السكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما بسطه الفلاسفة فى كتبهم .

فاذا استقر هذا الاعتقاد عند المدعو نقله الداعى إلى الدعوة التاسعة .

(الدعوة التاسعة)

هذه الدعوة هى النتيجة التى يحاول الداعى الوصول إليها وترسيخها فى قلب المدعو فاذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر فى كتب الفلاسفة من علم للطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الآلهى عندهم وغير ذلك من فروعها حتى إذا تمكن ذلك فى نفس المدعو كشف الداعى قناعه . وقال له :

ما ذكر من الأصول والحدوث رموز إلى معانى المبادئ وتقلب الجواهر وأن الوحى إنما هو صفاء النفس فيجد النبي فى فهمه ما يلقى إليه فيبرزه للناس ويسميه كلام الله الذى ينظم به شريعته حسبما يراه من المصلحة فى سياسة الناس ولا يجب العمل بها إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ويكتفيه معرفتها فقط وماعدا المعرفة من

سائر التشريعات إنما هو أنقال وآصار حملها للكفار أهل الجهالة لمعرفة الأغراض والأسباب .

ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء إنما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة إلى آخر هذه المعميات والآراء الفاسدة والأقوال الباطلة التي تقذف بالمدعو إذا اعتقدها في أتون الضلال والغواية وتخرجه من ربه الإسلام والعباد بالله تعالى اه بتلخيص من الخطط المقرزية .

ثم يقول المقرزي ولهم في الدعوات مصنفات كثيرة اختصرت منها ما تقدم ذكره اه .

وإنما اطلنا بنقل هذه الدعوات ليقف المطالع على إمعان هذه الفرقة الضالة في الغواية وحرصها على استدراج ضعفاء المسلمين بما يزينون لهم من القول وينفقون في قلوبهم من الأباطيل حتى ينسلخوا من دينهم ويمسوا ضلالا مارقين .

* * *

الإسماعيلية

في الموسوعة العربية الميسرة

وفي الموسوعة العربية الميسرة المطبوعة بمصر سنة ١٩٦٥ : أن الإسماعيلية فرقة من الشيعة الباطنية تنسب إلى إسماعيل الأبن الأكبر لجعفر الصادق الإمام السادس المتوفى بالمدينة سنة ٧٦٠ - سنة ٧٦١ م والذي جعلوا له الامامة بعد أبيه .

وقد ترك أبناء إسماعيل المدينة بعد وفاة أبيهم وانتشروا في دماوند وخراسان

وقد هار والهند والشام وبلاد الغرب ووافدوا الدعوة إلى البلاد الإسلامية يدعون فيها إلى مذهبهم الباطنى .

ومن أشهر دعاةهم (ميمون القداح) وكان ابنه عبد الله إماما للفرامطة و(الحسن بن الصباح) وكان زعيما لطائفة الحشاشين و(راشد الدين سنان بن -اليمان) و(أغا خان) زعيم الإسماعيلية المتوفى سنة ١٩٥٧ م

* * *

والإسماعيلية حاليا أتباع كثيرون فى فارس وأواسط آسيا وأفغانستان والحوض الأعلى لنهر جيحون والهند وعمان والشام وزنجبار وتنجانيقا .

* * *

والإسماعيلية دعوة وفلسفة ، والدعوة على مراتب ، لكل من يحل مرتبه منها من الدعوة اسم خاص له مدلوله عقدم بالقياس إلى ما يقوم به من تبليغ الكلام المنزل وتأويله^(١) والنبي الذى يبلغ الكلام المنزل اسمه (الناطق) والإمام الذى يؤول هذا الكلام هو (الاساس) وعليه فالنبي صلى الله عليه وسلم (ناطق) وعلى بن أبى طالب هو (الاساس) ويأتى بعد الناطق والاساس الإمام والحجة والداعى

ثم ذكر فى الموسوعة فلسفتهم بما يوافق فلسفة اليونانيين الأقدمين .
والإسماعيلية كتب كثيرة لا يزال أكثرها مخطوطا وسريا أهمها كتاب راحة العقل للداعى أحمد حميد الدين الكرمانى ا هملخصا .

* * *

(١) يؤيد هذا ما سبق نقله عن العضد فى المواقف .

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية^(١)

في مذهب الإسماعيلية

(سئل) شيخ الإسلام ابن تيمية عن طائفة النصيرية الداهيين إلى تناسخ الأرواح واستحلال المحرمات ، وتأويل الشرائع ، وأن لها معاني غير ما يظهر منها وهي المرادة ، وأن آدم اسم ومعناه شيث ويعقوب اسم ومعناه يوسف وموسى اسم ومعناه يوشع وسليمان اسم ومعناه آصف ومحمد اسم ومعناه علي ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان أبالسة إلى آخر ما جاء في الاستفتاء (فأجاب) بقوله إن هؤلاء النصيرية الذين يسمون أيضا بالقرامطة والإسماعيلية والباطنية والملاحدة والحرمية والحمرية ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر الخوض ، وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا بالأنبياء والرسل ولا بشئ ممن الكتب المنزلة ولا بالدار الآخرة وهم تارة يبنون أقوالهم على مذهب الفلاسفة الطبيعيين وتارة على مذهب الجوس ويؤولون الشرائع بما يبطلها كتأويل الصلاة بمعرفة أسرارهم والصيام بكنائنها والنكاح والحج بزبارة شيوخهم وأئمتهم ويستعملون للفواحش ونكاح البنات والامهات وسائر المحرمات .

وهم يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر ويؤمنون أن ذلك مذهب جعفر الصادق وحاشا أن يقول ذلك مع أنه توفي سنة ١٤٨ هـ وهذه

(١) هو الامام المجدد شيخ الاسلام أبو العباس تقي الدين أحمد ابن الامام شهاب الدين عبد الحليم ابن شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني الحنبلي المتوفى بدمشق سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله ومن مؤلفاته الفتاوى الكبرى وقد ترجمنا له في رسالة خاصة فلتراجع .

الأفوال وضمت بعد المائة الثالثة ، وكان من أتباعهم إخوان الصفا وابن سينا وأبنه وأخوه والطوسي شارح الاشارات ، ولهم ألغاب ودعوات مرتبة أخذوها عن المجوس والفلاسفة والرافضة ويزعمون أن محمد بن إسماعيل هو الإمام السابع .

ومن وصاياهم الدخول على عامة المسلمين وجهالمهم من باب التشيع لآل البيت وهم أكفر من اليهود والنصارى والمشركون وضررهم أشد من ضرر هؤلاء لتظاهرهم بالتشيع والموالاة لأهل البيت ومقصودهم إبطال ثرائع الإسلام اه من الفتاوى ج ٤ في باب قطاع الطريق والبهغة .

كلام شيخ الاسلام ابن تيمية

في فضل أبي بكر وسائر الخلفاء الراشدين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لم يقل أحد من علماء المسلمين المعبرين أن عليا أعلم وأفقه من الشيخين ولا من أبي بكر وحده بل إجماعهم منعقد على أن أبا بكر أعلم من على رضي الله عنهما . كيف وأبو بكر كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم يفتي ويأمر وينهى ويقضى ويخطب كما كان يفعل ذلك إذا خرج معه يدعو الناس إلى الإسلام . والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت يقره على ذلك ويرضى بما يقول ولم تكن هذه المرتبة لغيره .

وكان صلى الله عليه وسلم يقدم أبا بكر وعمر في مشاورته على سائر أصحابه مثل قصة مشاورته في أسارى بدر وغيرها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهما إذا اتفقتما على أمر لم أخالفكما . ولذا كان قولهما حجة في أحد قولى العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد . وهذا بخلاف قول عثمان وعلى رضي الله عنهما .

وفي السنن أنه قال « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » ولم يجعل هذا لغيرهما بل قال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » فأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين الأربعة وخص أبا بكر وعمر بالافتداء بهما وهي مرتبة أعلى كما لا يخفى .

وفي صحيح مسلم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا معه في سفر فقال « إن يطعم القوم أبا بكر وعمر يرشدوا » .

وثبت أن ابن عباس وهو خير الأمة وأفقه الصحابة في زمانه كان يفتي بقول أبي بكر وعمر إذا لم يجد سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدم قولهما على قول غيرهما من الصحابة .

وإيضاً كان اختصاص أبي بكر وعمر به صلى الله عليه وسلم فوق اختصاص غيرهما وأبو بكر كان أكثر اختصاصاً فانه كان يسمر عنده صلى الله عليه وسلم عامة الليل يحدثه في العلم والدين ومصالح المسلمين كما في حديث عمر وحديث الصحيحين .

ولم يصعب الرسول صلى الله عليه وسلم في سفر الهجرة غير أبي بكر ولم يبق معه في العريش يوم بدر غير أبي بكر . وقال إن أمن الناس على في صحبته وذات يده أبو بكر ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » وهذا من أصح الأحاديث في الصحاح من وجوه كثيرة .

وفي الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي وكرزها ثلاثاً فما أؤذي بعدها » .

ثم ذكر شيخ الإسلام ما في الصحيحين من حديث ابن عباس وفيه ترحم
 على علي عمر وهو مسجى على سريرته يوم دفنه وقوله « ما خالفت أحدا أحب
 إلى أن ألقى الله عز وجل بعمله منك » .

وسأل الرشيد مالكا عن منزلة الشيخين منه صلى الله عليه وسلم فقال
 منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد مماته ، وكثرة الاختصاص والصحبة مع
 كمال المودة والمحبة والائتلاف والمشاركة في العلم والدين تقضى أنهما أحق بذلك
 من غيرهما .

أما الصديق فإنه مع قيامه بأمور من العلم والفقہ عجز عنها غيره حتى بينهما
 لم لم يحفظ له قول مخالف نصا ، وأما غيره فحفظت له أقوال كثيرة خالفت
 النص لكان تلك النصوص لم تبلغهم ، والذي وجد من موافقه عمر للنصوص
 أكثر من موافقه علي ، ثم ذكر مسائل من ذلك .

وفي الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال « لو لم أبعث فيكم
 لبعث عمر » .

وأيضا فإن الصديق قد استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة التي هي
 عمود الإسلام وعلى إقامة مناسك الحج . وقد أقامها قبل حجة الوداع وليس في
 العبادات أشكل منها . وقد أمره علي في هذه الحجة وأمره أن يسمع ويطيع
 في الحج وأحكام المسافرين وغير ذلك لأبي بكر . وكان هذا بعد غزوة تبوك
 التي استخلف فيها عليا على المدينة ولم يكن أحدهما باقيا من الرجال الامتافق
 أو معدود وقال له حين تحسر على تخلفه عن الجهاد معه : أما ترضى أن

تسكون منى بمنزلة هارون من موسى تطيبها لنفسه وذلك لا يقتضى نقص
المرتبة ولا تفضيله على غيره .

وفى الصحيحين عن أبى سعيد قال وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى
الله عليه وسلم .

وأيضاً فإن الصحابة فى زمن أبى بكر لم يكونوا يتنازعون فى مسألة الإفضاء
بينهم أبو بكر وارتفع بقوله النزاع كتنازعهم فى وفاته صلى الله عليه وسلم
ومدفعه وفى ميراثه وفى تجهيز جيش أسامة وقتال ما نعى الزكاة وغير ذلك من
المسائل التى كان فىهم يعلمهم ويقومهم ويبين لهم ما تنزل معه الشبهة
فلم يكونوا معه يختلفون ولم يبلغ بعده أحد مبلغه فى علمه وكلامه ، ثم حصل
الاختلاف بعده فى مسائل كيراث الجد مع الإخوة ، والطلاق الثلاث
وغيرهما .

وكان الصحابة يخالفون عمر وعثمان وعلياً فى كثير من أقوالهم ولم يعرف
أنهم خالفوا أباً بكر فى شىء مما كان يفتى فيه ويقضى وهذا يدل على غاية علمه
وأنه قام مقام الرسول صلى الله عليه وسلم وأقام الإسلام فلم يخل بشىء منه بل
دخل الناس من الباب الذى خرجوا منه مع كثرة المخالفين من المرتدين وغيرهم
وكثرة الخاذلين فأكمل به من علمهم ودينهم مالا يقارمه فيه أحد حتى قام
الدين كما كان .

وكانوا يقولون أبو بكر خليفة الرسول قال السهيلي وغيره قد ظهر قوله
تعالى (لا تحزن إن الله معنا) فى أبى بكر فى اللفظ كما ظهر فى المعنى فكأنوا
يقولون محمد رسول الله وأبو بكر خليفة رسول الله ثم انقطع هذا الاتصال
اللفظى بموته فلم يقولوا لمن بعده خليفة رسول الله بل قالوا أمير المؤمنين .

وأبضا فعلى تعلم من أبى بكر بعض السنة بخلاف أبى بكر فإنه لم يتعلم من على كافي الحديث المشهور الذى فى السفن وهو حديث صلاة القنوة .

وكان أئمة علماء الكوفة الذين محبوبوا عمر وعليهما كعلامة والاسود وشريح القاضى وغيرهم يرجعون قول عمر على قول على . وكان ذلك أظهر وأشهر من أن يذكر فى تابعى أهل المدينة ومكة والبصرة وإنما ظهر فى الكوفة فقه على وعلمه لمقامه فيها أيام خلافته .

ولم يعرف عن أحد ممن شايه فى حروبه أنه قدمه على أبى بكر وعمر لاقى فقه ولا فى علم ولا فى غيرهما بل كلهم كانوا يقدمون عليه أبى بكر وعمر إلا من كان على يفكر عليه ويذمه وكانوا على قلتهم ثلاث طوائف . طائفة غلبت فيه كالتى ادعت له الألوهية وهؤلاء حرقتهم على بالفار ، وطائفة كانت تسب أبى بكر ورأسهم عبد الله بن سبأ فلما بلغ عليا ذلك طلب قتله فتهرب ، وطائفة كانت تفضله على أبى بكر وعمر فقال لا يبلغنى عن أحد منكم أنه فضلى على أبى بكر وعمر إلا جلده حتى حد المقتضى .

وروى عن على من نحو ثمانين وجهاً وأكثر أنه قال على منبر الكوفة « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر » .

وأما حديث (أفضاكم على) فغير صحيح وإنما يروى من طريق من هو معروف بالكذب . وهو من قول عمر بعد موت أبى بكر رحمهما الله .

وكذا حديث (أنا مدينة العالم وعلى بابها) فإنه كذب محض وقد

ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وكذبه ظاهر من متنه فانه يقتضي أن يكون مبلغ علم النبي صلى الله عليه وسلم واحدا من أصحابه فقط وهو كذب لأن أكثر العلم والسنن مروى عن غير علي وهذا القول قد افتراه زنديق أو جاهل ظنه مدحا .

وكذلك ما يزعمونه من اختصاص علي بعلم أنفرد به عن الصحابة باطل من القول وقد ثبت عن علي نفسه ما يكذب ذلك .

وكذلك ما يزعمونه من أن عنده علما باطنيا امتاز به عن الشيخين وغيرهما إنما هو من مقالات الملاحدة للباطنية الذين يزعمون أن للشرائع باطنا غير الظاهر وأن أئمتهم هم أهل معرفتها وهم شر من لليهود والنصارى والمشركين اهـ .

فضل الخلفاء الراشدين

حسب ترتيبهم في الخلافة ثم سائر الصحابة

وقال شيخ الإسلام في جواب سؤال آخر إن تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي أمر متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالامامة في العلم والدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو مذهب مالك وأهل المدينة والليث بن سعد وأهل مصر والأوزاعي وأهل الشام وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومحمد بن زيد ومحمد بن سلمة وأمثالهم من أهل العراق وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وغير هؤلاء من أئمة الإسلام الذين لهم قدم صدق في الأمة وحكي مالك إجماع أهل المدينة على ذلك . وهو مستفيض عن أمير المؤمنين على نفسه رضي الله عنه .

ففي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه علي يا أبت من خير الناس

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا بني أو ما تعرف قلت لا قال أبو بكر
قلت ثم من قال عمر وروى هذا عن علي من نحو ثمانين وجها وأنه كان يقوله
على منبر الكوفة بل قال لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلده
حد المفتري «ثمانين جلدة».

وكان سفيان يقول من فضل عليا على أبي بكر فقد أزرى بالمهاجرين
وما أرى أنه يصعد له عمل إلى الله وهو مقيم على ذلك ، وفي الحديث أنه صلى
الله عليه وسلم قال يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين
إلا الفبيين والمرسلين .

وقد استفاض عنه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين وغيرهما من غير
وجه أنه قال (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لا تتخذت أبا بكر خليلا
ولكن صاحبكم خليل الله) يعني نفسه .

* * *

وفي الصحيح أنه قال لعائشة ادعى لي اباك وأخاك حتى أكتب لأبي
بكر كتابا لا يختلف عليه الناس من بعدى ثم قال يا أبي الله والمؤمنون إلا
أبا بكر .

وفي الصحيح أن امرأة قالت يا رسول الله إن جئت فلم أجدك كأنها تعني
للموت قال فأتى أبا بكر .

وفي السنن أنه قال اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر وفي الصحيح
أنه كان في سفر فقال «إن يطلع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا» .

وفي السنن عنه قال رأيت كأنى وضعت في كفة والأمة في كفة فرجعت

بالأمة ثم وضع أبو بكر في كفة والأمة في كفة فرجح أبو بكر ثم وضع عمر في كفة والأمة في كفة فرجح عمر .

ثم ذكر حديث يا أيها الناس إني جئت إليكم فقاتلاني رسول الله فقاتم كذبت وقال أبو بكر صدقت فهل أنتم تاركولي صاحبي وكررها ثلاثا فما أودى أبو بكر بعدها .

وقد تواتر أمره صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالصلاة بالمسلمين في مرضه مع حضور عمر وعثمان وعلي وغيرهم .

وأفاض في ذلك ثم قال : وأما عثمان وعلي فقد رجح عليا على عثمان سفيان الثوري وطائفة من أهل الكوفة ثم رجحوا عن ذلك . وبعض أهل المدينة توقف في الترجيح في رواية أسكن في الرواية الأخرى أنهم رجحوا عثمان كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد وأصحابه وغيرهم من أئمة الإسلام حتى بدع بعضهم من يقدم عليا على عثمان رضى الله عنهم أجمعين .

* * *

ثم قال إن الذي ابتدع الرض كان يهوديا أظهر الإسلام نفاقا ودس إلى الجبال دسائس يقدر بها في أصل الإيمان ولهذا كان الرض أعظم أبواب النفاق والزندقة فإنه يكون الرجل واقفا ثم يصير مفضلا ثم يصير سابا ثم يصير غالبا ثم يصير جاحدا معطلا .

ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنادقة من (الإسماعيلية والنصيرية وأنواعهم من القرامطة الباطنية والدرزية) وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق فإن القدح في خير القرون وهم أصحاب الرسول عليه السلام قدح في الرسول ، وهؤلاء الصحابة هم الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي صلى الله عليه وسلم

إلى المسلمين وهم الذين نقلوا فضائل على وغيره فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين وحينئذ فلا تثبت فضيلة لا لعل ولا لغيره .

وأن الله تعالى قد اثنى على الصحابة في غير آية من كتابه فقال (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

وقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) .

وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود) الآية .

وقال (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة »

وفي الصحيحين عن أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال « لاتسبوا أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مداً أحدهم ولا نصيفه » .

وقد ثبت عنه في الصحيح من غير وجه أنه قال « خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وهذه الأحاديث مستفيضة في فضائل الصحابة فالقدح فيهم قدح في القرآن والسنة ولهذا تكلم الناس في تكفير الرافضة بما قد بسطناه في غير هذا الموضع اهـ ملخصاً من الفتاوى الكبرى جزء أول .

هَذَا مَا فِي فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (وَنَاهَيْكَ بِهِ إِمَامًا وَحُجَّةً وَعِلْمًا مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَقُدُوةً) فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ عَامَةً وَفَضْلِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ خَاصَّةً عَلَى تَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ - وَفِي الرَّدِّ عَلَى الشَّيْعَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَبَيَانِ ضَلَالِهِمْ وَمَرُوقَتِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَعَلَى الرُّوَافِضِ الَّذِينَ أَوْسَعُوا الشَّيْخِينَ وَالصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سُبْحًا وَتَجَرَّبَحًا وَزَعَمُوا الْحُبَّ وَالْوَالَاةَ أَعْلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهِهِ وَآلِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ . كَذَبًا وَزُورًا وَخُدَاعًا وَتَغْرِيرًا وَشَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْقُدْحِ فِي الصَّحَابَةِ الَّذِينَ آثَنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ وَمَدَحَهُمْ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحَادِيثِهِ :

وَقَدْ أَتَيْنَا بِجَلَالَتِهَا وَهِيَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَالْحَسَامِ الْمَسْلُولِ عَلَى مَنْقَعَةِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّادَةِ الْعَدُولِ .

* * *

(هَذَا) وَقَدْ أَقَاضَ الْمَلَامَةُ بِمَحَرَقِ الْيَمْنِيِّ فِي الرَّدِّ عَلَى ذَلِكَ الدَّاعِيَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي عَصْرِهِ بِالْيَمَنِ فَاحْسَنَ الرَّدِّ وَالنَّفْيِ ، وَدَافَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ دِفَاعَ الْعَالَمِ الْحَجِيدِ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا وَلَقَّاهُ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

تَمَّتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ الْمُخْتَصَرَةُ فِي ٨ شَوَّالِ سَنَةِ ١٣٨٦ هـ

(١٩ يَنَآيِرَ سَنَةِ ١٩٦٧ م) بِالْقَاهِرَةِ

بِإِسْنَادِ كَاتِبِهَا

حَسَنِينَ مُحَمَّدٍ مَخْلُوفٍ

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ

وَيَلِي هَذَا التَّصْدِيرَ كِتَابُ (الْحَسَامِ الْمَسْلُولِ) لِلْإِمَامِ بِمَحَرَقِ الْيَمْنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أفعل الحمد وأكمله ، وأزكاه وأشمله ، حمداً يوافي نعمه ويكافيه
مزيده. والشكر لمولى الحمد ومستحقه على ما منَّ به من التوفيق ، والهداية إلى
سواء الطريق وأنعم به من العرفان والتحقيق ، والإتباع والتصديق ، لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم الذي فضله على جميع الخلائق ، وبعثه بخير الأديان
والطرائق ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وأعاد إجماعها المعصوم من
كيد الخناس وأتباع الوسواس وحفظ كتابه المبين وشرعه المتين بقوله فيه (١)
(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال
طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »
وقال صلى الله عليه وسلم « ستفترق أمتي إلى اثنتين وسبعين فرقة كل فرقة منها
تدعو إلى النار والناجية منها فرقة واحدة » قيل يا رسول الله من هم قال
« هم المتمسكون بما أنا عليه وأصحابي ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه
سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(أما بعد) فقد وصلني كتاب كريم ، من أخ في الله صديق حميم ، وهو
الفقيه الأجل الصالح الفاضل الكامل شرف الدين أبو القاسم ابن سليمان
المقرئ الخراساني (٢) بلداً المنسوب إلى بيت الحازي وهو يستفيض إلى الله
عز وجل ثم إلى المملوك يريد الجواب على ثلاثة عشر سؤالاً مشتملة على شبه

(١) هذا راجع إلى قوله « كتابه للبين » كما أن قوله بعده « وقوله صلى الله
عليه وسلم » راجع إلى قوله وشرعه المتين .

(٢) نسبة إلى حراز كسحاب مخلاف باليمن .

مضلة، وأوهام عند إشراق الحق مضمحلة يستغوى بها داعى الاسماعيلية من حرق
الرجال وطعام الجبال من هم شبه المجانين فى الدين ، ومن الزنادقة الغاوين
الذين خدعهم الشيطان اللعين الذين قال فيهم وفى أتباعهم أصدق القائلين .
(فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتعلمون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم
تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر
الا أولوا الألباب) فما خص به سيدى من السلام فعليه وعلى من حضر مقامه
الكريم أضعاف أضعافه .

ويعلم الأخ فى الله تعالى أن الدعاء له ولهم مبذول ، ومن الجميع مسئول ،
والرجاء فى الله حسن القبول .

ثم حاصل ما يشير اليه سيدى فى المكاتبة والأسئلة أن قال السائل فى
مكاتبته وينهى تعريف خاطركم الكريم أنه قد ظهر فى بلادنا فتنة عظيمة من
رئيس الاسماعيلية عندنا وصار يدعو من جاوره من أهل السنة الى الدخول فى
مذهبه وبدعته ويذكر لهم الأحاديث الواردة فى فضل على بن أبى طالب
رضى الله تعالى عنه ويستدل بها على تعيين الخلافة له^(١) كحديث من كنت
مولاه فعلى مولاه . وحديث « أنت منى بمنزلة هارون من موسى »

وحديث المؤاخاة الى غير ذلك ، ويحتج بها على أن عليا هو الوصى بالخلافة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن خلافة الثلاثة قبله ممضية غير مرضية بخلافة
انص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستحل بذلك سب الصحابة رضى الله
تعالى عنهم لتعاونهم على تقديم أبى بكر فمن بعده ظلماً .

وقد غر بهذه الشبهة خلقا كثيرا وعظم ضرره على أهل السنة ولم يقع

(١) أى بالنص عليه من الرسول صلى الله عليه وسلم بعده مباشرة فيما يزعم

من علماء تلك البلاد ما يدفع شبهته ويبطل حجته وقد كتبت اليكم بشبهته التي أغوى بها كثيرا من العوام والنس بها على الطغام فتنهضوا بما يدفع شبهته من الحجج البالغة والبراهين الدامغة والدلائل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الصحابية والتابعة فالغوث الغوث وقد علمتم أن الرد عليهم من فروض الكفاية يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فأهمة الهمة القيام القيام وأجيبوا بجواب مبسوط شاف كاف مع المبادرة فإن داعي الاسماعيلية قد كتب جوابا على ما يدعيه من الأحاديث التي كتبتها لكم مطولا ثم ختمه بأبيات من شعره يمدح فيها مذهبه ويذم من خالفه فاجعلوا أيضا ختم جوابكم من الشعر في فضل السنة وأهلها وفضل الصحابة وفضل الأئمة رضي الله تعالى عنهم اجمعين .

حاصل شبه الاسماعيلي

(فن الأحاديث) التي أوردها الاسماعيلي ما في مسند الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علي رضي الله عنه بعد أن جمع الناس للصلاة بغدير يقال له غدير خم بضم الخاء وتشديد الميم^(١) وقل أستم تعلمون أني أولى بالموثمين من أنفسهم قالوا بلى قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

وقال الاسماعيلي ان المولى في الحديث بمعنى الأولى وانه إنما أراد أن لعلي من الولاء عليهم ماله صلى الله عليه وسلم من الولاء قال وقوله قبل ذلك « أستم

(١) خم موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين أو خم اسم غيضة هناك بها غدير ماء سم لم يولد بها أحد فعاش إلى أن يحتمل إلا أن ينتقل منها اه قاموس .

تعملون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم بيان لهذا وإلا لذهب سدى ، وقال لو كان المولى بمعنى الفاعل أو غيره لم يحتج إلى جمع المسلمين وإشهادهم ولا أن يأخذ بيد على لأن ذلك يعرفه كل أحد ولا كان محتاج إلى أن يدعو بقوله اللهم وال من والاه وعاد من عاداه لأن مثل هذا لا يكون إلا لإمام مفترض الطاعة .

وبهذا الحديث ^(١) وغيره من نحو قوله صلى الله عليه وسلم «على ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدى» وقوله «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى» ونحو حديث المؤاخاة ، احتج على ما ادعاه فبينوا حل هذه الشبهة ^(٢)

(ومنها) ^(٣) أنه زعم أن عليا رضى الله عنه استنقذ أم ابنه محمد بن الحنفية من يد أبى بكر حين سبهاها فى الردة ثم تزوجها على من وليها بعقد صحيح اذ كان يرى أنه لا يحل لأبى بكر سببها لأنها من قوم لم يجر منهم ما يوجب قتالهم وانما كان منهم منع الزكاة فقط وذلك لا يرجب للردة .

هذا كلامه وأراد بذلك أن عليا كان يقدح فى خلافة أبى بكر ولا يمتدح صحتها .

(ومنها) أنه زعم أن عليا لم يصل صلاة خلف أبى بكر ولا غيره ولا تأمر عليه أبو بكر ولا غيره .

(ومنها) سؤال من السائل نفسه - أخبرونا كم صلى أبو بكر بالناس من أيام فى مدة مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر رضى الله عنه فى مرضه كما صح أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف فى صحته .

(١) متعلق بقوله بعد احتج على ما ادعاه .

(٢) أى ردها وتفنيدها .

(٣) أى ومن شبهة التى أوردها الامم على .

(ومنها) أنه زعم أن دفن أبي بكر وعمر عند النبي صلى الله عليه وسلم ما كانه عن إذن منه ولا أمر أن يشق لأحد في بيته قبر وقال الله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) .

(ومنها) أنه زعم أن لكل نبي وصيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم بأمره بالوصية في الأولاد وقضاء الديون فكيف ترك نفسه ولم يوص بالخلافة إلى أحد ويترك الأمة يتيهون في الضلالة ؟؟ .

(ومنها) أن المسلمين أجمعوا على تسمية علي رضي الله عنه وصي النبي صلى الله عليه وسلم فوجب أن يكون وصيا بالخلافة .

(ومنها) أن عثمان لما ولي قعد على المنبر في مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذروته مع أن أبا بكر (رضي الله عنه) نزل عن ذلك درجة وعمر درجتين وأنه نفى أبا ذر وأوى مروان وأقطعه فدكا وهي صدقة النبي صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من الأمور التي من فعل بعضها لم يستحق الإمامة ووجوب الطاعة .

(ومنها) أن عمر كسر سيف الزبير وضرب سعد بن عبادته وذلك يقدر في إمامته .

(ومنها) وشي من السائل أنه أشكل عليه ما ذكره الواحد في تفسير قوله تعالى (وإذا أسر النبي) الآية أنه قال لحفصة أبوك وأبو عائشة ولأيا أمر الناس بعدى فأياك أن تحبى أحدا وقال كره أن ينتشر ذلك في الناس فما سبب هذه الكراهة وهو مأمور بالتبليغ ؟؟ .

(وكذلك) في الحديث الذي ذكر فيه الرؤيا أنه صلى الله عليه وسلم وزن هو وأبو بكر فرجح بأبي بكر فوزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر بعمر ووزن (٤ الحسام)

عمر وعثمان فرجع عمر بمثمان ثم رفع الميزان فرأينا الكراهة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ما سبب هذه الكراهة ؟ ؟ .

(وكذلك) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس إن الله فتح لي هذا الأمر وبذريتك يختمه ، وقال العلماء أراد بذلك بقاء الخلافة في أولاده إلى يوم القيامة فأين خلافة بني العباس اليوم ؟ ؟ .

(ومنها) صح أن عليا زوج ابنته أم كلثوم التي أمها فاطمة من عمر (رضي الله عنهم) فكيف صح هذا النكاح وغير الهاشمي ليس بكفو لهاشمي ؟ ؟ وقال الشافعي ليس للرجل أن يزوج ابنته الصغيرة من عبد ولا من غير كفؤ فلو فعل ذلك لم يصح النكاح لأنه خلاف الغبطة والمصلحة .

(ومنها) ما روى أن فاطمة جاءت إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنها وادعت أن النبي صلى الله عليه وسلم نكحها فذكا أو سهما من فذك وأقامت عليا وأم أيمن يشهدان بذلك فلم يعطها شيئا وقامت مفضضة .

(ومنها) أن داعي الاسماعيلية زعم أن الخلافة محصورة في آل النبي صلى الله عليه وسلم بما رواه البزار أنه صلى الله عليه وسلم قال إني مخلف فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الخوض فقروا العترة بكتاب الله والتمسك بكتاب الله واجب فكذلك العترة فأنتهى كلامه .

فبينوا لنا ذلك بيانا شافيا متع الله بكم المسلمين .

ومن جملة شمره الذي ختم به احتجاجه على ما يدعيه من بدعته قوله .

وخذوا الجراب مبيّنا ومبرهنا عني فإني عبد آل محمد

ولهم ولائي لا أريد سواهم ومتين حبهم به وثقت يدي

قَرْنَا كِتَابَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لَا أَفْتَرِاقَ إِلَى وَرُودِ الْمَوْرَدِ
 سَفْنَ النِّجَاجَةِ إِذَا طَفَى مَوْجُ الْهَوَى وَأَمْدُهُ بَدَعٌ كَمَوْجِ مُزِيدِ
 وَغَمٌ أُولُوا الذِّكْرِ الْمُبِينِ وَمَنْ هُمْ أَنْوَارُ صَدَقَ أَصْلَاهَا مِنْ أَحْمَدِ
 آلَ الرَّسُولِ وَحِيدِ مَنْ مِثْلَهُمْ فِي الْخَلْقِ فِي شَرَفٍ يَجْلُ وَسُودِ
 فَهَذِهِ جَمَلَةٌ أَسْأَلْتُهُ وَحَاصِلُ أَبْيَانِهِ مِنْ جَمَلَةِ خَمْسَةِ عَشَرَ بَيْتًا .

فَاللَّهُ اللَّهُ يَا سَادَتِي فِي الْجَوَابِ ، الْغَوْثُ الْغَوْثُ ، الْغَارَةُ الْغَارَةُ أَيْدِيكُمْ اللَّهُ
 وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَيَسِّرُ اللَّهُ الْجَوَابَ ، بِتَصْنِيفٍ يَهْدِي إِلَى جَادَةِ الصَّوَابِ ، وَيَكْشِفُ عَنْ
 تِلْكَ لِلشَّكَلَاتِ النُّقَابَ ، وَيُزِيلُ عَنِ الْوَاقِفِينَ الْوَهْمَ وَالشَّكَّ وَالْإِرْتِيَابَ وَيُبْطِلُ
 تِلْكَ لِلشَّيْبَةِ الزَّائِفَةَ وَيَقْضِي تِلْكَ الدَّعَاوَى الْفَارِغَةَ أَدَاءً لِفَرْضِ الْكَفَايَةِ وَقِيَامًا
 بِمُوَاجِبِ النَّصَحِ وَالرَّعَايَةِ .

وَتَهْمِيَّتُهُ (الْحُسَامُ الْمَسْأُولُ عَلَى مُتَقَصِّي أَصْحَابِ الرَّسُولِ)

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِهِ
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَا لَكَ يَوْمَ الْيَوْمِ الَّذِي مِنْ هَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ (إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفَى ضَلَالٍ مُبِينٍ) وَأَكْرَمَ عَصَابَةَ
 السِّفَةِ بِحَبْلِهِ الْمُبِينِ ، وَنَصَرَهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ، وَأَتَاهُمُ الْفَهْمُ فِي كِتَابِهِ
 لِلنَّبِيِّينَ ، وَهَدَاهُمْ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَجَنَّبَهُمْ زِينَةَ الضَّالِّينَ وَضَلَالِ الْمُلْحَدِينَ ،
 وَوَقَّعَهُمُ لِلْإِقْدَادِ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَآلِهِ الْأَكْرَمِينَ وَصَحْبِهِ الْهَادِينَ الْمُتَّبِعِينَ ،

صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(أما بعد) فقد سمعت نداءك أيها الأخ المسترشد وأجبت دعاءك أيها الصارخ المستنجد سلك الله بفا وبك قصد الطريق ، وأمدنا وإياك بالعصمة والتوفيق بما يجب^(١) على لك من حق الإخاء والوداد والله ولرسوله من نصرة الدين والجهاد ، ولأئمة المسلمين وعامتهم من النصح والإرشاد فإنك ذكرت أنه قد انتشرت عندكم فتنة ظاهر شرورها وشاعت لديكم محنة عم ضررها من شخص من رؤساء الإسماعيلية الضلال استحوذ على طائفة من العوام والجهال ، لبس عليهم بدعته فاتبعوه ، واستخفهم بشبهه فأطاعوه ، استزلهم^(٢) بما يورده من الأحاديث الواردة في فضل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه عن صحيح اعتقادهم واستزلهم^(٣) بزعمه موالاته ونصرتة عن طريق رشادهم حتى أدى بهم ذلك إلى القبح^(٤) في خلافة الصديق ومن بعده من الخلفاء الراشدين ، ثم إلى سب سائر الصحابة ونسبتهم إلى الفسوق والمروق من الدين ، وأنت^(٥) تحب ما تستظهر به في دفع شبهه وتستضيء به من السنة من ظلم بدعته .

فاعلم أولاً أن هذا دخان نار أوقدت قبل هذا الأوان ، وغبار جدار قد وقع منذ دهور وأزمان ، قد تبين فيها الرشd من الغي ، واستبان فيها الصريح

(١) متعلق بقوله أجبت .

(٢) أزلقهم عن صحيح اعتقادهم بما يورده من تلك الأحاديث .

(٣) استزلهم أي طلب إزالتهم عن طريق الرشاد من قولهم أزاله عن مكانه وزاله عنه إزالة بمعنى فرقهم عنه وفي الأصل استزلهم في الموضعين فاستحسننا أن يكون الثاني استزال والأول استزل فتنبه .

(٤) أدى بهم وفي الأصل أوى لهم وهو تحريف .

(٥) أي وذكرت أنك تحب الخ .

عن الله ، وعرف فيها الحق من الباطل والضللال من الهدى فمن يهد الله فهو
للمهتدى ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا .

مقدمة

فما يتعلق بهذه المسئلة من معتقد أهل السنة والجماعة
وذلك في بيان خمسة أشياء وجوب الإمامة ، ثم بيان شروطها ، ثم بيان
ماثبت به ، ثم بيان الإمام الحق وترتيب الخلفاء في التفضل ، ثم بيان مايجب
لهم ولسائر الصحابة من التعظيم .

مبحث وجوب الإمامة

(الأول) قال أهل الحق يجب على الأمة نصب إمام^(١) متبع في كل
عصر وأوان لما به يُفصر الدين ويُمكن من قمع المفسدين ويُؤخذ مايجب
أخذه ويُدفع مايجب دفعه (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) .

والدليل على ذلك إجماع الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم على أنه لا يجوز خلو الوقت عن يرجعون إليه بعده في أمر الدين
والدنيا مع أنهم أعلم الناس وأورعهم وأتقاهم بل لما خطبهم أبو بكر وقال :
ألا إن محمداً قد مات وإنه لا بد لهذا الدين من يقوم به بادر السكل إلى قبول
قوله وتركوا أهم الأشياء وعو دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل
المسلمون على ذلك .

(١) الامامة كما في المواقف وشرحها خلافة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة
الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة .

وقال العلامة ابن خلدون في مقدمته إن الامامة خلافة عن صاحب الشرع
في حراسة الدين وسياسة الدولة به ويسمى القائم بها إماما وخليفة .

هذا مع أنا نعلم أن مصالح العباد من أمر المعاش والمعاد لا تتم إلا بإمام يرجعون إليه وإلا ربما أدى ذلك إلى هلاكهم جميعاً ، والتجربة تشهد لذلك مما يشور من الفتن أو يهيج من المجن عند موت الولاة إلى استقلال والآخر بحيث لو تبادى ذلك لتعطلت المعاش وأدى إلى رفع الدين وهلاك المسلمين .

مبحث شروط الإمامة

(الثاني) أنه يجب أن يكون الإمام « ذكراً » لأن الرجال أقوى من النساء على القيام بمهام الإمامة العظمى وأقدر « بالغا » لقصور عقل الصبي واحتياجه إلى من يكفله فضلاً عن أن يكون كافلاً للأمة كلها « عاقلاً » لما ذكر في الصبي « مسلماً » لقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) « عدلاً » لئلا يجور « حراً » لئلا تشغله خدمة السيد « قرشياً » (١) لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قریش » .

ثم إن الصحابة أجمعوا على العمل بمقتضاه « مجتهداً » في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين « ذا رأى » ليقوم بأمر الملك « شجاعاً » ليقوى على الذب عما يجب عليه القيام بحفظه - فهذه عشر شرائط . (وفي الثلاثة الأخيرة خلاف)

(١) ثبت هذا الشرط باجماع الصحابة يوم سقيفة بني ساعدة عليه تقدم الأنصار ببيعة سعد بن عباد الأنصارى وقالوا منا أمير ومنكم أمير فاحتجت قریش بحديث الأئمة من قریش وبأنه صلى الله عليه وسلم أوصانا بأن نحسن إلى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم فخبجوا الأنصار ورجعوا عن قولهم وعدلوا عما كانوا هموا به إلا أنه لما ضعف أمر قریش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الأعاجم وصار الحل والعقد إليهم وحقق العلامة ابن خلدون أن اشتراط هذا الشرط إنما قام على اعتبار العصبة التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب هذا المنصب فتسكن إليه الملة وأهلها ويتنظم حبل الألفة فيها فيرجع هذا الشرط إلى الكفاية وتكون هي اللفاظ لا خصوص النسب . اهـ

ولا يشترط أن يكون هاشميا خلافا للشيعة للإجماع على صحة خلافة
أبي بكر وعمر وعثمان ، ولا أن يكون معصوما خلافا للإمامية^(١) ولا عالما بجميع
المسائل المتعلقة بأمر الدين^(٢) .

مبحث ما تثبت به الإمامة

(الثالث) تثبت الإمامة إما بالنص من الإمام السابق بالإجماع وإما بان
بما يمه أهل الحل والعقد خلافا للشيعة ولا يشترط حضور جميع أهل الحل والعقد
لأن الصحابة رضی الله تعالى عنهم مع صلابتهم في الدين اكتفوا بمجرد عقد
بيعة عمر لأبي بكر وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان فبايعوها ولم يتوقفوا في
صحة إمامتهما إلى اجتماع أهل المدينة فضلا عن إجماع أهل العصر .

مبحث الإمام الحق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم

وترتيب الخلفاء في الفضل

(الرابع) الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر
ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم لما سبق أن طريق ثبوت الإمامة إما بالنص وإما
بعقد البيعة وقد انعقد الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص لامته على
استخلاف أحد معين ، وعلى انعقاد البيعة لأبي بكر ثم نص أبو بكر على خلافة
عمر ثم عقدها المسلمون لعثمان ثم علي رضي الله عنهم .

وأما ترتيبهم في الفضل فأجمع أهل السنة على أن ترتيبهم فيه على ترتيبهم

(١) أي والاسماعيلية .

(٢) شرط هذا الشرط الشيعة الإمامية .

في الخلافة ما خلا طائفة من السلف فانهم توقفوا في التفضيل بين علي وعثمان
ومنها من فضل عليا عليه ونقل عن ابن عبد البر أن اجماع الخلف انتقد على
ما عليه جمهور السلف من الترتيب .

هذا مع الاتفاق على أن عثمان إمام حق لان من استكمل شروط الامامة
سحت إمامته وإن كان مفضولا بل قد يجب تولية المفضول لسكونه أصلح أو
لكون نصب الافضل مثيرا للفتنة إذ المعتبر في ولاية كل أمر والقيام به
معرفة مصالحه ومفاسده وقوة القيام به ورب مفضول في علمه وعمله هو بالامامة
أعرف وبالرعية اشفق وأرأف .

مبحث وجوب تعظيم جميع الصحابة

(الخامس) يجب تعظيم كافة الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، والسكف عن
القدح في مناصبهم الجليل ، وتطأب الحامل الحسنة والتأويلات اللائقة بقدرهم
فيما ينقل عنهم بعد العلم بصحة ذلك عنهم ، وعدم المسارعة إلى ما ينفلة عنهم
المؤرخون والأخباريون وأهل البدع الضالة المبطلون ، وإنما المعتمد على ما يورده
العلماء الراسخون وعلماء السير بالاسانيد المعتمدة ، فاذا صح ذلك وجب حملة
على أحسن الحامل لأن تقريره يؤدي إلى مناقضة كتاب الله تعالى وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والخلف في قولهما محال ، ثم يؤدي إلى هدم أركان الشرع
من أصله والازراء بشارعه وناقله وأهله لأن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا الشرع
والتوحيد والنبوة والرسالة والإسلام والإيمان والصلاة والزكاة والصيام والحج
والحلال والحرام إلى غير ذلك ، ومتى تطرقت الأوهام إلى القدح فيهم انخرمت
عد التهم وردت روايتهم وشهادتهم وصار هذا الدين الذى هو خير الأديان
شر الأديان لكون حماله فسقه ، وكان القرآن مفترى ، وكان قوله فيهم «أولئك

هم الصادقون « والتائبون العابدون » « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » إلى غير ذلك زوراً وبهتاناً ، وكان الرسول متقوقلاً على الله .

وكان قوله « أحماني كالتجوم ، وخيركم قرني ويحمل هذا العلم » إلى غير ذلك إفكاً وباطلاً ، وكان الخير كله والصدق والنزاهة مع أعداء الله للقادحين فيهم الذين حدثوا بعدهم وأحدثوا بدعهم لامع الله ورسوله وأوليائه ، وصار جميع الأنبياء والرسلين المبشرين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كذبة ، والكتب المنزلة عليهم من عند الله مختلفة ، وصار جميع العلماء الأحرار والعارفين بالله الاختيار من أول الدهر إلى آخر الأعصار على باطل وضلال لانفاقهم على تصديق الصحابة فيما نقلوه وعلمهم بعلمهم الذي عنهم حملوه إلى مالا يحصر من الكفر والضلال تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

مقصود هذه الفرقة الضالة القدح في الدين

وهذا في الحقيقة هو المقصود لهذا الفرقة الضالة التي ظاهر مذهبها الرفض وباطنها الكفر المحض وإلا فكيف يخطر بقلب من يدعى الإيمان الأزراء بسادة المؤمنين وأركان الدين أو يتطرق إليه القدح فيهم أخذاً بقول من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، وعدولاً^(١) عن ثناء الله عليهم في مواضع عديدة في كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فإن قول القادح المنتقص لهم المزرى بهم من قول الله تعالى الذي لا يبدل القول لديه

(١) عطف على قوله أخذاً .

ولا يتصور أن ينعكس مدحه ذمًا ولا رضاه سخطًا (لکن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) .

فهذه الخيرات والفلاح والجنات المعدة لمن هي ^(١)؟؟؟ .

(للفقراء المهاجرين الذي اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الآيات .

(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

وهذا الرضا الأبدى من المراد به ؟؟ .

(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

وهذه البيعة الرابحة من تولى عقدها؟؟؟ .

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيئاتهم في وجوههم من أثر السجود) .

وهذا الأوصاف الجليلة من هو الموصوف بها؟؟؟ .

(١) استفهام وما بعده هو الجواب عنه وكذا الامر فيما بعد .

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) الآيات .

(فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً) .

باعتجبا كيف تكون العصاة الفسقة بزعم الدعاة المارقة أحق بكلمة التقوى وأهلها - هلا كانوا هم أحق بها وأهلها لزعمهم أنهم على الحق لا الصحابة وأتباعهم .

أغاب^(١) صدر من الباري جل وعلا حتى أعطى القوس غير بارئها ، أم سمو حصل ممن لا يضل ولا ينسى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وبأدى الأمور وخافئها حتى يقول فيهم ذلك مع علمه بما سيكون منهم من التبديل والتحرير كلا والله بل كان الله بكل شيء عليماً وكانوا هم^(٢) أحق بها وأهلها أزلاً وأبداً رغم الله لا يتبدل والله أعلم حيث يجعل رسالاته .

ثم كيف أظفب في مدحهم في كتابه وعلى لسان رسوله وهو يعلم ما يصدر منهم من التعاون على الظلم والعدوان وقول الزور والبهتان قبل أن يدفئوا نبيهم ويجهزوه - أغش منه^(٣) لرسوله المحبوب مع ماله عنده من المسكينة ، أو عجزت قدرته الفافذة عن أن يختار لرسوله من يصحبه بالصدق ويؤدى شرعه بالأمانة أم أنزل كتابه وأرسل رسوله للاضلال لا للارشاد حتى مدح فيه من هو مذموم عنده من العباد .

(١) استفهام إنكارى .

(٢) أى الصحابة رضى الله عنهم وأزلا أى مقدراً ذلك فى الأزل ومستمراً فيما لا يزال إلى انتهاء وجودهم .

(٣) استفهام إنكارى .

فاعتبروا يا أولى القلوب والأبصار واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم
ممتعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف
عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير .

فصل

في أفضلية أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وما أوردته الخصم من تعداد مناقب سيدنا أمير المؤمنين على كرم الله وجهه
ففضل على لا ينكر وعلم منصبه وجلالة قدره أشهر فوق ما ذكر بأضعاف كثيرة
وأكثر ولا يكن للصدیق من الفضل ما هو أكبر ونصيبه من عطاء الله أتم
وأوفر (كلا تمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك
مخطوراً أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر
تفضيلاً) .

وكأن الرسل فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات
فكذلك أتباعهم وأتباع أتباعهم هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون .
ثم إن كلا منا هذا إنما هو تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، وأما الخصم
فإنه يلزمه على مذهبه الفاسد إبطال ما احتج به ورد ما أوردته لأن هذه
الأحاديث كلها وغيرها إنما رواها الصحابة الذين أبطل عدالتهم ورد شهادتهم
ونقلها عنهم أتباعهم القائلون بمعتقدهم ، ورد شهادتهم على مذهبه أولى فكيف
احتج بروايتهم فيما وافق رأيه وهواه وردها فيما هو أهم من ذلك من نقل أصل
الدين وما سواه ، وأيا أعظم اعتقاد التفضيل^(١) أم هدم قواعد الشرع والتعطيل ؟

(١) أي تفضيل على رضي الله عنه - لاشك أنه أقل خطر أو ضرراً من هدم

فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

جعلوا شغلهم الأهم مسألة التفصيل وصرفوا همهم إلى غير ما امروا به من القليل والقال مع أنه مفروع منه وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

أولئك قوم قد لحقوا بالله وعرف كل منهم منزلته عند الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر إخوانا على سرر متقابلين ، والواجب على من بعدهم لهم ما يجب على الأولاد لآبائهم من البر والإحسان ، والاستغفار المأمور به بنص القرآن . (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) فانهم آباء أهل الإسلام إذ هم الذين آووه ونصروهم ثم مهّدوه وقرّروه ثم ادّوه كما سمعوه فجزاهم الله عنا أفضل الجزاء .

وكل ما ورد من الفضائل في حق علي وغيره فعنهم نقل ومنهم عرف وكيف ينسب المبتدع نفسه إلى أنه أتقى منهم وأقوم بدين الله وأطوع لله وأعلم بمراد الله وينسبهم إلى أنهم خالفوا رسول الله فيما سمعوا منه مشافهة وخانوا الله ورسوله في تقديم منضول على فاضل والتمادى على الباطل فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى .

ثم لم نزل العلماء والأولياء والفقهاء والقراء وغيرهم يناقشون هذه الأخبار وغيرها مما هو مشهور على مر الازمنه ويودعونها في تصانيفهم ويقربون إلى الله بذكرها في تأليفهم ولم يصل الموافق والمخالف إلى عملها الا بواسطتهم وهم^(١) مهتدون لما عليه الصحابة من ترتيب الخلفاء في التقديم ، وتوفية كل

(١) أى العلماء .

منهم ومن سائر الصحابة ما هو له أهل من الاجلال والتكريم فلو علموا (١)
 أن تلك الأحاديث مصادمة لما فعلوا ومضادة لما اعتقدوا لكان كتمها وتبديلها
 بعكسها أهون إنما ارتكبوا من مخالفتها كفاحا والتمادى على الباطل إلى
 الموت وسن سنة قبيحة منسوبة إلى الله ورسوله كذبا يعمل بها من بعدهم إلى
 يوم القيامة .

فأى مصيبة أعظم في دين الله من هذا الاعتقاد (٢) وأى فساد في الدنيا
 والآخرة أشنع من هذا الفساد ، (سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن
 تمردوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) .
 (ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) اللهم إنا كما
 نشهد لك بالوحدانية ولنبينا بالتبليغ فانا نشهد لهم (٣) بالصدق فيما إلينا
 عنك أو صلوه وعن نبيك نقلوه وبأداء الأمانة فيما من أمر دينك تحملوه ولا
 نتخذهم أربابا ولا نجعل بعضهم على بعض أحزابا بل هم عبيد لك مربوبون
 سامعون لك مجيبون دعاهم نبيك فتابعوه وعلى نصر دينك بإيعوه فصدقوا كما
 سمعتمهم الصادقين وما بدلوا تبديلا .

(١) أى الصحابة .

(٢) أى اعتقاد المخالفين .

(٣) أى للصحابة .

فصل

في ذكر طرف من ثناء الرسول الصادق المصدق الذي لا ينطق عن الهوى
إن هو إلا وحي يوحى ، وثناء أهل البيت الطيبين الطاهرين السادة الأتقياء
والبررة الأصفياء (على الصحابة) وحث أمتهم على حبهم والتحذير عن سبهم
وأمره باتباعهم والافتداء بهم والكف عما شجر بينهم :

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم » أخرجه البخاري ومسلم وقوله « لا نسبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق
مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » ^(١) أخرجه البخاري ومسلم .

وقوله « الله الله في أصحابي لا تتفخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي
أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى
الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » أخرجه البخاري .

وقوله « إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم »
أخرجه الترمذي .

وقوله « سألت ربي عن اختلاف أصحابي من بعدى فأوحى إلي يا محمد إن
أصحابك عندي كالنجوم في السماء بعضهم أقوى من بعض ولكل نور فمن أخذ
بشيء مما هم عليه فهو عندي على هدى » أخرجه رزين في جامعه .

وقوله « إن الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا
وأصهارا فمن سبهم فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه

(١) المد : مكيال معروف ، والنصيف أحد شقي الشيء وجمعه أنصافه قاموس .

صرفاً ولا عدلاً^(١) أورده الحب الطيرى فى الرياض النضرة .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » أخرجه البخارى ومسلم .

وقوله « لا يدخل النار أحد من تابع تحت الشجرة » أخرجه الترمذى وصححه .

وشهد صلى الله عليه وسلم للعشرة بالجنة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجراح أخرجه الترمذى وأبو داود .

ودخل حائطا للانصار فاستأذن عليه أبو بكر فقال لأنس افتح له وبشره بالجنة ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك وقال فيه بشره بالجنة على بلوى تصيبه » أخرجه البخارى ومسلم .

وكان على حراء ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص فتعرك بهم الجبل فركضه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن حرا فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد أخرجه مسلم والترمذى وأخرجه البخارى وأبو داود » فذكرنا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فقط .

وسمع سعيد بن زيد أحد العشرة رجلا يسب رجلا من الصحابة فغضب وقال والله لشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح أخرجه الترمذى وأبو داود .

زاد رزين لاجرم لما انتقطت أعمارهم أراد الله أن لا يقطع الأجر عنهم

(١) توبة ولا فدية .

إلى يوم القيامة فالشقي من أبغضهم والسعيد من أحبهم .

فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم سئل أى الناس أحب إليك فقال عائشة قيل من الرجال قال أبوها قيل ، ثم من ؟ قال عمر ابن الخطاب أخرجه البخارى ومسلم ، وقال لأبى بكر أبشر فإنك عتيق الله من النار فسمى من يومئذ عتيقا أخرجه الترمذى .

وقال « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي » أخرجه أبو داود . وقال « ما طامت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر » ، وفي رواية « أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين إلا للنبيين والمرسلين » ، وفي أخرى « أبو بكر وعمر في أمتي كالشمس والقمر في النجوم » وأوردنا الحب للعبى .

وأوذى أبو بكر فغضب صلى الله عليه وسلم لذلك غضبا شديدا وقال « هل أنتم تاركون لى صاحبى كررها ثلاثا إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لى صاحبى فما أوذى بعدها » أخرجه البخارى .

وقال « إن أمن الناس على فى محبته وماله أبو بكر » أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى .

وقال « ما لأحد عندنا يدٌ إلّا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة » أخرجه الترمذى .

وفى تصديق ذلك نزل قوله تعالى (وسيجتنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) فوعده الله تعالى بالرضا مكافأة عن نبيه صلى الله عليه وسلم وحكم له بأنه أتقى الأمة (هـ - الحسام)

بعد حكمه بأن أكرمكم عند الله أتقاكم فصار حكماً بأن أبا بكر أكرم الأمة على الله وأفضلها .

ومن هنا قال فيه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره أخرجه الترمذى .

استخلاف أبي بكر في الصلاة

ولما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه قال « مروا أبا بكر فليصل بالناس » وكان غائبا فقدم القوم عمر فلما سمع صوت عمر تغيرت حالته وأطلع رأسه من الحجرة مضطربا وهو يقول يا أبا الله ذلك والمسلمون ليصل بالناس ابن أبي قحافة ثم بعث إليه نجاء وصلى بالناس مدة مرضه صلى الله عليه وسلم .

ولما قال مروا « أبا بكر فليصل بالناس راجعته عائشه ثم حفصة إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فرّ عمر فليصل بالناس فغضب وقال لأثنين صواحب يوسف » أخرجه البخارى ومسلم .

ووجد خفة في مرضه فخرج وأبو بكر يصلى بالناس فلما رآه أبو بكر استأخر فأوما إليه أن مكانك إكراماً له فلم يستطع ذلك أبو بكر إجلالاً لمنصب الرسالة فمات به النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « أخرجه البخارى ومسلم » زاد الترمذى وقال له أأنت أحق بها ؟ أأنت أول من أسلم ؟ أأنت صاحب كذا أأنت صاحب كذا ؟ .

فلو قدم المسلمون غيره بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يؤمهم فهل وافقوا نبههم أو خالفوه ؟؟ وإذا ارتضاه الرسول لأمر دينهم فما بقى من أمر الخلافة (١) ؟؟

(١) أى فأتى شىء بقى من أمر الخلافة بعد أمر الدين .

أيحسن أن يكون خليفة غيره^(١) لا يحسن له أن يتقدم بين يدي آحاد رعيته في أعظم شعائر الدين من العلوات الخمر والجماعات والأعياد فإن كانت الخلافة جباية الأموال أو ما هو دون ذلك فبئس بها^(٢).

وأى شيء استفاده الصديق من عقد البيعة له سوى أن ولاه المذلهون جباية الزكوات وصرفها في مصارفها وهل كسب الصديق بولايته كدور الأموال أو تنعم بالملابس الفاخرة أو أخذ العبيد والخلول أو شيّد القصور وزخرفها ، وإذا لم يكن شيء من ذلك فأى شيء حمله على الظلم والعدوان وخسران الآخرة والأولى بزعم أعداء الله تعالى (فمن يرد الله فتنه فإن تملك له من الله شيئاً) (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) .

وقد كان غرضه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوراً بين الصحابة يعلمه الخاص منهم والعام ولا يداخل أحداً منهم شك ولا ريب في أنه أعلام الخليفة منزلة عنده (صلى الله عليه وسلم) .

ولله درُّ حسان حيث يقول مخاطباً للنبي صلى الله عليه وسلم ويمدح أبا بكر بعد أن استدعى منه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فلا
القالي الثانى الحمود سيرته وأول الناس طراً صدق الرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

وعن ابن عمر رضى الله عنهما « كفا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) استفهام جوابه لا يحسن الخ .

(٢) أى فبئست هى ولو عبر بهذا كان أولى .

لم نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم ترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفاضل بينهم» أخرجه البخارى والترمذى وأبو داود .

وروى النسائى: « كننا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ولما قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير قال لهم عمر أيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر فى الصلاة فقالوا بأجمعهم نعوذ بالله من ذلك » فعند ذلك بادروا إلى بيعته وقالوا رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدينانا .

ثناء على بن أبى طالب على الشيخين رضى الله عنهما

ومن ذلك عن على رضى الله عنه أنه قال يوم الجمل « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحمل إلينا عهدا فأخذ به فى إمارة ولا كفه شىء من أنفسنا فاستخلفنا أبا بكر ورحمة الله على أبى بكر فأقام^(١) واستقام ثم استخلف عمر ورحمة الله على عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه^(٢) » أخرجه أحمد وفى رواية ثم حطمتنا فتنة يعقو الله فيها عمن يشاء .

وعن محمد بن الحنفية بن على رضى الله تعالى عنهما قال « قلت لأبى أى أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية سألت أبى عن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قلت ثم من قال عمر ثم قال وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت ثم أنت فقال ما أنا إلا رجل مسلم » أخرجه البخارى وأحمد وأبو حاتم .

(١) أى أقام الدين وشرائعه ،

(٢) جران البعير : بالكسر مقدم عنقه من مذبجه إلى منعه أى استقر وثبت وفى هذا أبلغ تكذيب المدعى الوصية لعلى ومنتهى الصديق والفاروق .

وعن كعب بن عبد الله قال « قال رجل لى رضى الله تعالى عنه يا خير الناس فقال له أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لا قال فهل رأيت أبا بكر قال لا قال فهل رأيت عمر قال قال لا قال أما إنك لو قلت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لضربت عنقك ولو قلت رأيت أبا بكر أو عمر لجلدتك » أخرجه الإمام أحمد .

وعن على كرم الله وجهه قال « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين يا على لا تنخرهما » أخرجه الإمام أحمد والترمذى وأبو حاتم، وزاد سيدا كهول أهل الجنة وشبابها، وفي رواية قال على ما حدثت به حتى ماتا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « إني لواقف في قوم يدعون لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه ويترحمون عليه وقد وضع على سريره إذ رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي فالتفت فإذا هو على رضى الله عنه وترحم على عمر ثم قال رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك لأنى كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت وأبو بكر وعمر، فعلت وأبو بكر وعمر انطلقت وأبو بكر وعمر ، وما خلقت^(١) أحدا أحب إلى من أن ألقى الله بمثل عمله منك » أخرجه البخارى .

ومما أورده الحب الطبرى عن على رضى الله عنه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينى هاتين وإلا فعميتا وسمعت بأذنى هاتين وإلا صميتا وهو يقول « ما ولد فى الإسلام مولود أركى ولا أطهر من أبى بكر ثم عمر .

(١) خطاب لعمر وهو مسجى على سريره .

وعنه في قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) قال
 هم رسول الله وأبو بكر وعمر^(١).

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم
 إلى أبي بكر وعمر فقال والله إنى لأحبكما ومن أحببته الله والله تعالى أشد
 حبا لكما مني^(٢) وإن الملائكة لتحبكما بحب الله لكما فأحب الله من أحبكما
 وأبغض من أبغضكما ووصل من وصلكما وقطع من قطعكما وأسعد من أسعدكما
 في حياتكما وبعد مماتكما فقال على لقد ازددت لما حبا يا رسول الله فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل أحبهما فإن حبهما إيمان وبغضهما نفاق.

ماورد في ذم الرافضة^(٣)

وفي رواية يا على ألا أدلك على عمل إذا عملته كنت من أهل الجنة وأنت
 من أهل الجنة إنه سيكون بعدى أقوام يقال لهم الرافضة يرفضون الإسلام
 ويرغمون مودة أهل بيتي يستنّبون أبا بكر وعمر فإذا أدركتهم فاقتلوهم
 فانهم مشركون.

وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها قالت نظر
 (١) وقيل هم النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل هم النبي وآله، وقيل هم النبي وأصحابه،
 وقيل جميع الناس الذين بعث لهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل العرب.

(٢) أى أنه تعالى أشد حبا لهما من حب الرسول صلى الله عليه وسلم لهما.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : إن لفظ الرافضة إنما ظهر
 حين رفض بعض الشيعة زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم لما سئل في الشيخين
 فترجم عليهما فرفضوه وصحوا رافضة لذلك كما صي من لم يرفضه منهم زيدية وكان ذلك
 في آخر خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ فلم يكن لفظ الرافضة معروفا
 قبل ذلك . وبهذا يعرف كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة
 ولكن كانوا يسمون بغير ذلك الاسم قبل ذلك هـ ومنه يعلم ما في هذه الروايات
 المذكورة هنا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على فقال هذا في الجنة وإن من شيعته قوما يسمون الرافضة يرفضون الإسلام من لقيهم فليقتلهم فانهم مشركون وأخرجه الإمام أحمد أيضاً، وفي رواية إن من يزعم أنه يحبك أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقال لهم الرافضة فان أنت أدركتهم فجاهدكم فانهم مشركون «كررها» ثلاثا قال يا رسول الله وما علامتهم قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة أى لأهل السنة ويظعنون في السلف الأول .

ثناء ابن عباس على الخلفاء الأربعة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وقد سئل عن الخلفاء الأربعة فقال أما أبو بكر فكان رحمه الله للقرآن تالياً، وللشرقالياً، وعن الفجشاء لاهياً، وبالله عارفاً، ومن الله خائفاً، فاق الصحابة ورعاً وزهادة وبراً وأمانة، فعقب الله من يبعضه اللعنة إلى يوم القيامة، وأما عمر فرحم الله أبا حفص فكان والله كهف الإسلام، ومأوى الأيمان، وتحقق حصناً حصيناً، وللإيمان وأمنه عوناً مميّناً، قائماً بأمر الله، صابراً محتسباً لله، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وقوراً في الرخاء والشدة، شكوراً لله على كل حال فأعقب الله من يبعضه اللعنة والندامة إلى يوم القيامة، وأما عثمان فرحم الله أبا عمرو فكان والله أفضل البررة، وأكرم الخفدة، ومجهمز جيش العسرة . كثير الاستغفار هجّاعاً بالاسحار، سريع الدموع عند ذكر النار دائم الفسك فيما يعنيه في الليل والنهار مبادراً إلى كل مكرمة فاراً من كل هلكة واقعد عاش سعيداً ومات شهيداً فأعقب الله من قتله اللعنة إلى يوم القيامة، وأما على فرحم الله تعالى، أبا الحسن كان والله علم الهدى، وكهف التقى، وطود النهى، وعين الندى، ونوراً مسفراً في الدجى، وداعياً إلى المحبة العظمى و متمسكاً بالعروة الوثقى، أبو السبطين وزوج خير النساء، فعلى من يبعضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد .

ثناء جعفر الصادق على الخلفاء الأربعة

وسئل عنهم أيضا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقال أما أبو بكر فكان قد ملئ قلبه بمشاهدة الربوبية وكان لا يشهد مع الله غيره فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه (لا إله إلا الله) .

وأما عمر فكان يرى كل ما دون الله صغيرا حقيرا في جنب عظمة الله ولا يرى العظمة لغير الله فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه (الله أكبر) .
وأما عثمان فكان يرى ما دون الله معدوما إذ كان مرجعه إلى الغناء وكان لا يرى التنزيه لغير الله تعالى فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه (سبحان الله) .

وأما علي فكان يرى ظهور الكون من الله وقيام الكون بالله ورجوع الكون إلى الله فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه (الحمد لله) .

وطعن قوم في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند زين العابدين هلي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم فقال لهم بعد أن أغاظ لهم في القول ألا تخبروني هل أنتم من السابقين الأولين أو الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم قالوا لا قال فهل أنتم من الذين تبوءوا الدار والايمان الآية قالوا لا قال فانا أشهدكم أيضا أنكم لستم من الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان .

براهة محمد الباقر بمن يعادى الشيخين

وسئل الباقر محمد بن علي زين العابدين عن أبي بكر وعمر فقال إماما عدل لا نالتني شفاعة جدي محمد إن لم أتولاهما وأتبرأ من عاداهما ، وفي رواية قيل له ما تقول في أبي بكر وعمر فقال أتولاهما واستغفر لهما ، وما أدركت أحدا من أهل

يبتى إلا وهو يتولاها ، ومن جهل فضل أبي بكر وعمر جهل السنة ، وفي أخرى أنه قال لجابر الجعفي يا جابر أخبر أهل الكوفة عنى أى برىء ممن تبرأ من أبى بكر وعمر ، وفي أخرى يا جابر بلغنى أن أقواما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبابكر وعمر وعثمان فأبلغهم أنى إلى الله برىء منهم والذي نفس محمد بيده لو قدرت عليهم لتقربت بدمائهم .

شهادة زيد بن على بفضل الشيخين

وعن زيد بن على بن الحسن بن على رضى الله عنهم قال البراءة من أبى بكر وعمر براءة من على رضى الله تعالى عنهم فمن شاء فليقدم ومن شاء فليتأخر قال ذلك للرهط الذين اجتمعوا ليقاتلوا معه وقالوا لا نخرج معك إلا أن تبرأ من أبى بكر وعمر فقال من سب أبابكر وعمر فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(١) .

محبة آل البيت للشيخين وتكذيبهم الرافضة

وقال جعفر الصادق فى مرض موته اللهم إني أحب أبابكر وعمر فإن كان فى نفسى غير ذلك فلا تغفلنى شفاعة محمد .

وسئل عنهما موسى الرضا فقال أبو بكر جدى وعمر ختنى أفترانى أبغض جدى أو ختنى .

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على لرجل من الرافضة : ورب هذه البنية يعنى السكينة إن ماتزعمون من أمر الإمامة لباطل والله إن قتلك لقربا لولا حق الجوار ولقد أساء بقا آبائونا إن كان ما تقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به ولم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه ونحن أقرب منهم قرابة منكم وواجب عليهم أن يرغبونا فيه .

(١) فرفضه بعضهم ولذا سموا الرافضة كما سمي من لم يرفضه زيدية نسبة إليه كما قدمنا .

ثناء على الشيخين على المنبر

وقال رجل لعلي سمعتك يا أمير المؤمنين تقول على المنبر اللهم أصلحني بما أصلحت به الخلق الراشدين الهادين المهتدين فمن هم يا أمير المؤمنين فأغرورت عيافاه بالدموع ثم قال : أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدى إلى صراط مستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون .

وعن علقمة رحمه الله قال سمعت عليا رضي الله عنه وهو على المنبر يقول بلغني أن أناسا يفضلونني على أبي بكر وعمر ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكني أكره العقوبة قبل التقدم فمن أتيت به بعد هذا وقد قال شيئا من ذلك فهو مفترو عليه ماعلى المفتري ألا إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم الله أعلم بالخير .

وفي رواية أني على رضي الله عنه وهو بالكوفة برجل ينقص أبا بكر وعمر فأمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين لم تضرب عنقي وإنما غضبت لك قال وما ذاك وذاك قال إني غريب ما صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علمت منزلة هذين الرجلين منه ومنك وإنما سمعت بمض من يشاك بفضلك عليهما ويزعم أنهما ظلماك حقا وتقدماك في أمرك فقال على أو تعرف القوم قال لا إلا بأعيانهم عند نظري إليهم فقال والله ما ظلماني ولا تقدماني ولولا أنك قلت بغربتك وقلة معرفتك لضربت عنقك ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها أبا بكر وعمر وأثنى عليهما وقال في آخرها ، واعلموا أن خير الناس هو نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم أنا وقد رميت بها في رقابكم فلا حجة لكم علي عند الله .

وفي رواية أخرى على برجل يقال له ابن السوداء كان ينقص أبا بكر وعمر

فدعاه ودعا بالسيف وهم بقتله ثم قال لا تساكني في بلدة فسيره إلى المدائن .
وفي أخرى أتى بمعد الله بن سبأ^(١) وكان يفضل عليا على أبي بكر وعمر
فقال اقتلوه فقال ابن سبأ أقتل رجلا يدعو إلى حبك وحب أهل البيت فخلاه
وقال من قدر عليه بعد ثلاثة أيام فليقتله وسيره إلى المدائن ثم خطب الناس .

خطبة بليغة لعل في الثناء على الشيخين

وعن سويد بن غفلة رضى الله عنه قال دخلت على بن أبي طالب
كرم الله وجهه فقلت يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يتناولون
أبا بكر وعمر فلو لا أنهم يرون أنك تضمر لها على وفق ما أعلنوا به ما اجترؤا
عليه فقال أعوذ بالله أن أضمر لها إلا الذي أتمنى المضي عليه لعن الله من أضمر لها
إلا الحسن الجميل، أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ووزيراه رحمة الله
عليهما ثم نهض دافع العيين يمشي حتى دخل المسجد فصعد المنبر فجاس عليه
ستكبا قابضا على الحية ينظر اجتماع الناس إليه فلما اجتمعوا قام فتشهد
بخطبة موجزة بليغة : ثم قال ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين
بما أنا عنه معتز به وعما قالوه برى وعلى ما يقولونه معاقب والذي فلق الحبة
وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن ولا يبيغضهما إلا فاجر، صاحبا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووزيراه صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء
بأمران ويفهمان ويقضيان ويمعتبان فما يجاوزان فيما يقضيان رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى كراهيهما رأيا
ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهما راض
ومضيا والمسلمون عنهما راضون، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على

(١) أصله يهودى ثم أظهر الاسلام وزعم أخيرا الألوهية في على وأنه لم يمت
وأتباعه بسمون السبائيين وهم من الفرق الضالة بالاجماع .

صلاة المسلمين وصلى بهم أبو بكر سبعة أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض الله عز وجل نبيه واختر له ما عنده ولآه المسلمون ذلك أيضا وفوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان^(١) ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب والله إنه لذلك كاره يود لو أن أحدنا كفاه وكان والله خير من بقى ، ارحمه رحمة وارفه رافة وأثبتته ورعاً وأقدمه إسلاما شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكائيل رافة ورحمة وإبراهيم حلما ووقاراً سار فينا بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله عز وجل ، واستخلف بعده عمر بعد أن استأمر أبو بكر المسلمين في ذلك فمنهم من رضى ومنهم من كره وكنت ممن رضى فلم يفارق عمر الدنيا حتى رضى به من كان له كارهاً فأقام الأمر على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهجه صاحبه يتبع أثرها ويعمل بمنهجهما كاتباع الفصيل أمه وكان والله رحيماً للضعفاء والمساكين عوناً للظالمين على الظالمين لا تأخذه في الله لومة لأثم قد ضرب بالحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه حتى كنا نظن أن ملكاً ينطق على لسانه ، أعز الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قواماً وألقى الله عز وجل له في قلوب المؤمنين المحبة وفي قلوب المنافقين الرهبة ، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرائيل فظاً غليظاً على الأعداء وبنوح عليه السلام حتماً مغياظاً على الكفار ، فمن الذى كان اسم مثلتهما رحمة الله عليهما ورزقنا الله المضى على سبيلهما فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع أثرهما والحب لهما فمن أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا برئ منه ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لما قبت على هذا أشد العقوبة ألا أنه لا ينبغي لى أن أعاقب قبل التقديم ألا فمن أنيت به يقول هذا جلده جلد المقتري ألا وخير هذه الأمة أبو بكر

(١) أى لأن الصلاة والزكاة مقرونتان في كتاب الله عز وجل في كثير من الآيات .

أَبْنِ أَبِي قُحَافَةَ ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ أَقُولُ قَوْلِي وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِأَخَوَانِنَا ثُمَّ نَزَلَ .

أَخْرَجَهَا كُلُّهَا الْحُبُّ الطَّيْبِيُّ وَعَزَاَهَا إِلَى مَخْرِجِهَا حِفَافُ الْإِسْلَامِ .
وَمَا أوردناه فقطرة من بحر من ثناء الله تعالى ورسوله وأصحابه وآله
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ عَلَى الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَإِبْرَاهِمَ مَنَازِلِهِمْ وَإِلْزَامَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ بِمَحَبَّتِهِمْ
لِحُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَهُمْ .

الصَّحَابَةُ فَرِيقٌ مُتَّحِدٌ مُتَنَاصِرُونَ

وهذه نصوص السادة أهل البيت النبوي على وابن عباس وفاطمة وبنو
على الحسن والحسين وابن الحنفية وزين العابدين ومحمد (الباقر) وجمعة
(الصادق) وسائر السادة الذين اتبعوا آثارهم وافقوا مفارمهم شهادة لهم بمحبتهم
ناطقة بموالاتهم ونصرتهم وأنهم وأبا بكر وعمر وعثمان بل وسائر الصحابة
حزب واحد وفريق متحد متناصرون على الحق متطاهرون على الهدى ولا ينكر
ذلك إلا جاهل مارذ أو متجاهل مغاند .

الرد على الشيعة وإلزامهم بالحجة

وإذا كان الأمر كذلك فكيف اختار هؤلاء المارقون من الذين مروى
السهم من الرمية ما جنحوا إليه من البدعة المهلكة الردية ثم يزعمون أنهم
القائمون بنصرة العترة الفاطمية والموالون لأهل العصبة النبوية فإن كانت موالاتهم
ونصرتهم لغير من ذكرناهم من على وأبناؤه الهادين المهتدين فقد اعترفوا
بالضلال ونحن براء مما زعموه ، وإن زعموا أنه حدث من أهل البيت من هو
أهدى منهم فقد كابروا الحسن وقيل لهم هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ،
وإن وافقونا على أن من ذكرناهم سادة أهل البيت فليشهد الله وملائكته

بأننا من أتباع أولئك نعاذى من يعادون ونوالى من يوالون ، وأما الخصم ^(١)
فبيدنا ويدينهم كتاب الله وسنة رسوله وأهل البيت المذكورون فما حكموا به
على الصحابة من مدح أو ذم اتبعناه ونحن والله أولى منهم بموالاة السادة الكرام
أهل البيت لافتقائنا آثارهم (إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) .

فصل

في أن الأدب مع الصحابة يوجب الكف عن التفاضل بينهم

واعلم أن من حسن الأدب معهم رضى الله عنهم أن نتلقى ماورد من فضائلهم
ومناقبهم بالقبول ليقع في القلوب موقع التعظيم ، ولا نشغل بمقابلة هذه الفضيلة
بهذه الفضيلة تفضيلا لأنه ربما خيف منه الأزرار بالمفضول ، هذا مع اعتقاد
ما أجمع عليه السلف ^(٢) .

وهذا كما نهى عن الجادلة في تفضيل الرسل بعضهم على بعض مع تهريج
القرآن بذلك وتصريح الرسول بأنه سيد ولد آدم مع قوله لا تفضلوني على يوس
ابن متى .

(١) يريد به جنس الخصوم وهم الشيعة المذكورون .

(٢) قال في المواقف وقد وجدنا السلف قالوا بأن الافضل أبو بكر ثم عمر ثم
عثمان ثم علي وحسن ظننا بهم يقضى بانهم لو لم يعرفوا ذلك لما اطبقوا عليه فوجب علينا
أتباعهم في ذلك القول اهـ وما اجمع عليه السلف تعظيم الصحابة وتوقيرهم والثناء
عليهم ومن تأمل سيرتهم ووقف على مآثرهم وجدهم في الدين وبذلهم أموالهم
وأنفسهم في نصرته الله ورسوله لم يخالجه شك في عظم شأنهم وبرائتهم مما ينسب اليهم
المبطلون من المطاعن والثالب ومنه يقينه بعظمهم عن الطعن فيهم بل يرى ذلك
مجانبا للإيمان وكلا وعد الله الحسنى وقد فرق الله فيهم المزايا والفضائل والله تعالى
هو الواهب والمقسم والله أعلم .

فكان اللائق بنا أن لا نشغل بالجواب عما أورده الخصم ولكن عند
الضرورات^(١) تباح المخطورات فنقول :

بطلان حجة الخصم

قد علمت مما سبق أن حجته داحضة من وجوه كثيرة .

(أحدها) أنه يزعم فسق الرواة فيعترف ببطلان شبهته على معتقده للفاسد
فقد ألزم نفسه بطلان شبهته وكفى بنفسه عليه شهيدا فلا نشغل بجوابه حتى
يوافقنا على معتقدنا .

(الثاني) إذا اعترف زدناه فقلنا له كل هذه الأدلة الواردة في فضائل سيدنا
أمير المؤمنين على معارضة بأدلة أقوى منها ، وأقوى من ذلك كله الإجماع
على فضيلة أبي بكر وتقديسه وصحة إمامته حتى من على سائر أهل البيت
رضي الله عنهم ، وهذه الأقول الصادقة الممتدة بيننا وبينهم محكمة ولا يعطى أحد
بدعواه وكل دعوى لا تؤيدها بيئة شرعية مردودة .

(الثالث) أن اعتقادنا أفضلية الصديق وصحة إمامته موجب لتقرير الشريعة
وموجب لأفضلية على وإثبات فضائل أهل البيت وغير ذلك مع اعتقاد صدق
الناقلين لذلك ، واعتقادهم أفضلية على موجب لبطلان إمامة الصديق وفسق الرواة
فيوجب ذلك رد فضائل على أيضا وغيره فلو لم يرد نص في أفضلية الصديق
ولا إجماع لوجب قطعا أتباع معتقدنا فكيف والأمر بالعكس فما أشبههم
باخوانهم الزاعمين أتباع موسى والإيمان بالتوراة ويكفرون بمحمد والقرآن
المصدق لموسى والتوراة مع أن شريعة موسى والتوراة موجبة للتصديق بمحمد
والقرآن فكفروا بموسى والتوراة من حيث لا يشعرون (ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) .

(١) أى ضرورة الرد على أولئك الطاعنين المقتربين .

(الرابع) ما يترتب على معتقدهم من الإزراء بأمير المؤمنين على وسبّه بأعظم السب وحاشاه من ذلك لأنهم يزعمون أنه يعلم أنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى عهده فكيف نبذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره وضع عهد الله وخذل دين الله ، بل وعلى ما أجمع السلف عليه من أنه لانص في الخلافة فيزعمون أنه يعلم أنه أفضل الأمة وإن الخلافة متعينة عليه فقد نسبوه على كل تقدير إلى ما لا يجوز لمسلم أن ينسبه إلى أفسق الولاة الظلمة من تضییع حقوق الله تعالى ورسوله وحقوق دينه وحقوق العباد وتركها بأيدي من يزعمون أنهم فسقة ظلمة متماونون على الإثم والعدوان، هذا وهو البطل المقدام الذي لا يماثل به الشجعان فكيف رهب من الموت وآثر الحياة الدنيا وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج الزهراء وأبو السبطين، أما وجد في بنى هاشم ثم في قبائل قريش ثم في سائر الأمة من يقوم بنصره ويدينه على أمره أو يبذل روحه لله وارسوله ، وكيف قلدر بعد ذلك على قتال معاوية وأتباعه لما رأى الإمامة متعينة عليه .

أين يذهب هؤلاء الضلال (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)
(الخامس) القرائن للشاهدة بوجوب تقديم الصديق أصرح وأظهر مما استدلوا به على وجوب تقديم على :

(فمنها) الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر في الصلاة ولم يزل فيبقى بالإجماع إماماً للمسلمين في الصلاة بالنص الجمع عليه فيكون إمامهم في غيرها من طريق الأولى إذ لا قائل بأن شيئاً أعظم منها ولأنه يلزم منه لو عزله عن الصلاة ^(١) مخالفة النص الصريح وإن أبقوه فيها واستخلفوا غيره فيما سواها نقصان شأن ذلك الخليفة وأخترام أمر خلافته والقطع بأن ما بقى عليه الصديق من الصلاة أعظم شأنًا مما استفاده الخليفة الآخر، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وقد نبه أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه على ذلك بقوله

(١) أى بعده صلى الله عليه وسلم .

السابق استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة المسلمين وولاه المسلمون ذلك بعده وفوضوا إليه أمر الزكاة لأنهما مقرران

ما ورد من الآيات والأحاديث في ذلك

(ومنها) من الآيات قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً) الآية (١) فوعد الله حق وكلامه صدق والآية تدل بالنص الصريح على أنه لا بد أن يكون في هذه الأمة التي هي خير الأمم من المؤمنين الخاطبين بالآية خلفاء حق حتى يخلفوا رسوله كما خلف الرسل قبلهم خلفاء حق يمكّن الله لهم دينهم الذي أكله لهم وأرضاه في حياة نبيهم ويبدّلهم من بعد خوفهم في ابتداء الإسلام أمناً فهذا منطوقها مجمل ويجب حملها عقلاً ونقلها على الخلفاء الأربعة للاجماع على أنه لم ياحققهم من هو أولى بهذه الفضيلة منهم فهم الذين صدق وعد الله فيهم وهم أئمة حق وعلى هدى من ربهم قاموا بسياسة المسلمين والذب عن حوزة الإسلام أتم قيام فقررروا قواعد الدين فتمكن وأمن بهم المسلمون أبلغ أمن ، ثم هذه الأمور الموعودة كان ابتدائها في خلافة أبي بكر وكاملها على أتم الوجوه في مدة عمر وصدر خلافة عثمان وانهاؤها في أيام علي رضي الله عنهم أجمعين (٢)

(١) آية ٥٥ النور .

(٢) وفي لباب التأويل وفي الآية دليل على صحة خلافة الصديق والخلفاء الراشدين بعده لأن في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الأمن والتمكين وظهور الدين ثم قال في السلام على الحديث الآتي إن خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة شهور وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان كانت اثنتي عشرة سنة وخلافة علي كانت أربع سنين وتسعة أشهر فتكون المدة كلها تسعا وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن ستة أشهر ثم نزل عنها اهـ .

(وفي هذه) أيضا قوله صلى الله عليه وسلم « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مائة عضوا » ^(١) فالتعريف في قوله الخلافة للمهد فـكانه قال الخلافة التي وعدكم الله بها .

ومنى سجت خلافة الأربعة وجب ترتيبهم في الفضل والأحقية بها على الترتيب الواقع .

وقوله تعالى (قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد يقاتلونهم أو يسلمون) ^(٢) أى يكون أحد الأمرين إما قتالكم لهم أو إسلامهم وليسوا بمن يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية فأما المفسرون فعملوا الداعى على الصديق والقوم أولى البأس على بنى حنيفة ^(٣) وأما من حيث تعيين ذلك أيضا فلألم بأن ذلك الداعى للأعراب إلى الجهاد معهم ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى له (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) ولا عليا رضى الله عنه لأنه لم يقاتل كفارا ليسلوا ، ولا من بعده لانهم عندنا ظلمة وعندهم أشد ظلما وبقي الاحتمال منحصر في الثلاثة أبى بكر لقتاله أصحاب مسيلة الكذاب وعمر وعثمان لقتالهما فارس والروم ونرجح جانب الصديق لأن فارس والروم يقاتلون ليسلوا أو يعطوا الجزية وأهل اليمامة يقاتلون أو يسلمون ولهذا حمل المفسرون الآية على ذلك ليطابق الواقع .

(١) عضوا أى فيه عسف وظلم

(٢) آية ١٦ الفتح وهو عطف على آية ٥٥ النور

(٣) حنيفة لقب أنال بن الحليم بالتصغير أبو حى . منهم خولة بنت جعفر الحنفية أم محمد بن طي بن أبى طالب وقد اشتهر بابن الحنفية اه ومنهم مسيلة الكذاب مدعى النبوة وهم الذين قاتلهم أبو بكر في الحرب التي سميت حرب الردة .

فثبت أن الصديق هو الداعي الموعود به وتبنت خلافته وخلافة من بعده
على الترتيب (١).

وقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر) (٢)، فلو كانت امامة الصديق باطلة وقد أعانته عليها والامامة حق على
ولم تعنه لكانوا شر أمة يأمرؤن بالمنكر وينهون عن المعروف .

وقوله تعالى (وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) (٣) قال ابن عباس والله
إن خلافة أبي بكر وعمر اني كتاب الله تعالى وتلا هذه الآية ، وقال قال حفصة
أبوك وأبو عائشة أولياء الناس بعدى أخرجه الواحدى وأورده المحب للطبرى .
وقال فى قوله تعالى (ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه) (٤) قال الزرع
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والشطء أبو بكر فأذره فقواه عمر فاستغلف
بثمان فاستوى على سوقه بعلى رضى الله تعالى عنهم .

(١) قال النسفى وفى الآية دلالة على صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب
على طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً) وقال فى
آيات التأويل : وفيه دليل على صحة خلافتهما لأن الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى
مخالفتها النار اه .

(٢) آية ١١٠ آل عمران وهو عطف على الآيتين قبله .

(٣) آية ٣ التحريم وهو عطف على الآيات الثلاث قبله ، وفى كتب التفسير
أن النى أسر إليها هى حفصة خلافاً للشيعنة القائلين إنها عائشة وأن الحديث هو
حديث مارية وتحريمها على نفسه وقيل الحديث هذا وخلافة الشيخين بعده وهى التى
أعرض عنها النبي صلى الله عليه وسلم لكرهه أن ينتشر ذلك بين الناس وهذا
الاعراض كافى أن لا يذكر أصلاً ولو بعد موته ولذلك لم تذكر السيدة حفصة بعد .
وقال الآلوسى وقد جاء إسرار أمر الخلافة فى عدة اخبار اه فراجعه .

(٤) آية ٢٩ الفتح وهو عطف على الآيات الأربع قبله ، والشطء الفراخ .
وهذا التفسير مروي عن عكرمة كما فى تفسير النسفى ولياب التأويل .

وعن أبي بن كعب رضى الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير سورة العصر فقال والعصر قسم من الله تعالى بآخر النهار انى الإنسان انى خسر أبو جهل إلا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالصبر على، أخرجه الواحدى وأورده الحب الطبرى وموضع الدلالة سياق ترتيبهم الدال على ترتيب منازلهم فى الفضل وهم يوجبون إمامة الافضل وكذلك كل موضع ورد فيه ذكرهم لانراهم إلا على هذا الترتيب .

ومن الأخبار (١) قوله صلى الله عليه وسلم « انى لا ادرى ما قدر بقائى قىـكم فأتيدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وما حدثكم به ابن مسعود فصدقوه » أخرجه الترمذى وأخرج أحمد وأبو حاتم إلى قوله أبى بكر وعمر لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره أخرجه الترمذى بأبى الله ذلك والمسلمون ثلاث مرات أخرجه الترمذى أيضا وقد سبق .

وقيل يارسول الله من تؤم بعدك قال لأن تؤمروا أبى بكر تجدوه أمينا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه أمينا قويا لا يخاف فى الله لومة لائم وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم أخرجه (٢) وأشار بقوله ولا أراكم فاعلين إلى اختلافهم عليه يوم ولايته ، وعدم ذكره لعمان لأن كلامه هنا جواب لهم ولم يسألوه عنه فنقل الراوى الجواب دون السؤال .

(١) عطف على قوله سابقا من الآيات أى ومنها ما ورد من الأخبار فى ذلك .

(٢) هنا يباض بالأصل وينظر فى ثبوت هذا القول والرواية الأخرى بعده وكذا فى حديث الأعرابى بعده وحديث بنى المصطلق والثابت أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص فى شأن الخلافة بعده على أحد ولم يوص به ولو كان لعرف واشتهر ولا حيج به على وكان القول الفصل فى الأمر ، وما ذكره الخصم مطعون فيه .

بوضحه أنه قد جاء أيضا في رواية قيل له يا رسول الله ألا تستخلف قال
إني إن استخلفت عليكم فمقصيتم خليفتي نزل بكم العذاب قالوا ألا نستخلف
أبا بكر قال إن تستخلفوه تجذوه قويا في أمر الله ضعيفا في نفسه قالوا ألا نستخلف
عمر قال إن تستخلفوه تجذوه قويا في أمر الله قويا في نفسه ، قالوا ألا نستخلف
عليا قال إن تستخلفوه تجذوه هاديا مهديا يسلك بكم الصراط المستقيم .

وباب صلى الله عليه وسلم أعرابيا بعلائص إلى أجل فقال يا رسول الله إن
أعجبتك منيتك فمن يقضيني قال يقضيك أبو بكر قال فإن تأت أبا بكر منيته فمن
يقضيني بعده قال عمر قال فإن عجلت منيته فمن يقضيني بعده قال عثمان قال
فإن عجلت بعثمان منيته فمن يقضيني بعده فقال إذا أتى على أبي بكر وعمر
وعثمان أجلهم فإن استطعت أن تموت فمت فإن باطن الأرض خير لك من
ظاهرها أورده الحب الطبري .

وسأله بنو المصطلق إلى من ندفع زكاتنا إن حدث بك حدث فقال :
« ادفعوها إلى أبي بكر قالوا فإن حدث بأبي بكر حدث الموت فإلى من ندفعها
فقال إلى عمر فقالوا إلى من ندفعها بعد عمر فقال إلى عثمان قالوا فإن حدث
بعثمان حدث فإلى من ندفعها فقال إذا حدث بعثمان حدث فتبنا لكم آخر
الدهر أورده الحب الطبري .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل للنبي صلى الله عليه وسلم بستانا
فأتى آت فدق الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس قم افتح له
وبشره بالجنة وبالحلافة بعدى قال قلت أعلمه بذلك يا رسول الله قال أعلمه (١)

(١) البشارة بالجنة ثابتة في الأحاديث في قصة بئر أريس وإدراج حديث
الحلافة في هذه القصة غير ظاهر لما ذكرنا قبله ونحن مع القطع بصحة خلافة الخلفاء
الراشدين بترتيبهم بالطريق الشرعي الصحيح ورفض كلام الشيعة المخالف لذلك
لا نقر صحة هذه الروايات والله أعلم .

ففتحت فإذا أبو بكر رضى الله عنه فقلت ابشر بالجنة وبالإخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر في عمر وعثمان كذلك وذكر في عمر أنه الخليفة بعد أبي بكر وفي عثمان أنه الخليفة بعد عمر وأنه مقتول وإن عثمان قال له يا رسول الله والله ماتت ولا مسست ذكرى يمينى مفذ بايعتك بها قال هو ذاك يا عثمان أورده الحب الطبرى وأشار إلى أن هذه قصة غير قصة بئر أريس التي رواها أبو موسى المشهورة في الصحيحين وغيرهما .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى الليلة رجل صالح كان أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر فقلنا أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاية الأمر الذى بعث الله به نبيه بعده أخرجه أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم « بينما أنا نائم رأيتنى على قلب أى بئر عليها دلو فترعت ما شاء الله أى لستى الناس على حوضها ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين^(١) وفى نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم أخذها ابن الخطاب فنزع حتى روى الناس ووصفه بالقوة أخرجه البخارى ومسلم وأحمد وأبو حاتم مع اختلاف فى بعض الالفاظ .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى بكر كيف انت يا أبا بكر إن وليت الأمر بعدى فقال بل قبل ذلك أموت يا رسول الله قال فانت يا عمر قال هل كنت إذا قال فانت يا عثمان قال آكل وأطعم وأقسم فلا أظلم ، قال فانت يا على قال آكل القوت واخفض الصوت وأقسم التمرة وأحى التمرة ، قال كلكم سبلى وسبى الله عملكم أورده الحب الطبرى .

وقال ذات يوم من رأى الليلة رؤيا فقال رجل أنا يا رسول الله رأيت

(١) الذنوب بالفتح الدلو .

كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت وأبو بكر فرجعت أنت بابي بكر ووزن
 عمر وأبو بكر فرجع أبو بكر بعمر ووزن عمر وعثمان فرجع عمر بعثمان ثم
 رفع الميزان قال الراوى فرأينا الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وفي رواية فاستاء لها معنى فساءه ذلك وقال خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك
 من يشاء .

وسبب الكراهة التي بدت في وجهه صلى الله عليه وسلم ليس راجعا إلى
 رجوعان بعضهم ببعض لأن ذلك هو المعلوم المقرر عنده بل راجع إلى قوله
 ثم رفع الميزان ، وهذا الميزان هو الميزان المشار إليه بقوله تعالى (الله الذي أنزل
 الكتاب بالحق والميزان) وهو الميزان الذي يوزن به حكم الكتاب الذي نزل
 مقارنا له فيسوى به الحقوق ويقام فيها القسط فيعطى كل ذى حق حقه ، ولما
 أخبره أن ذلك الميزان رفع بموت عثمان علم أن استقامة أمته على أكمل الأحوال
 وأتم قوانين العدل إلى موت عثمان وهذه اللذة هي النشار إليها بقوله خلافة نبوة
 أى كاملة من كل وجه باجتماع الكلمة واتحادها كما اجتمعوا على نبينهم
 سامعين مطيعين ثم يحصل الجور في جانب فيعطى بعض الحق غير أهله كما
 انصرفت الخلافة من على وآله إلى بنى مروان ولا يقدح ذلك في خلافة
 سيدنا على لأنه قد أدخل مدته في أسهم الخلافة الموعود بها في قوله تعالى :
 (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم) فهذه هفا خلافة
 نبوة وهى خلافة خاصة مشروط فيها اتحاد الكلمة والتي في الآية خلافة حق
 عامة مطلقة والله أعلم .

وقال رجل يارسول الله رأيت كأن دلوا دلى من السماء فجاء أبو بكر
 فأخذ بمراقبها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بمراقبها فشرب حتى
 تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بمراقبها فشرب حتى تضلع ثم جاء على فأخذ بمراقبها

فانتشطت وانتشطت عليه منه شيء أخرجه أبو داود، ومعنى انتشطت جذبت
ورفعت قبل أن يتمكن من الرى من غير تقصير منه ولا تفريط ومع تأهله
وشدة حرصه عليه لولا ما حال بينه وبينها من القضاء المبرم وكان أمر الله
قدراً مقدوراً .

ما ردهن الآثار في ذلك

ومن الآثار عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
بعثه والياً على عمان ومات رسول الله وهو ثم نجاءه عالمهم وكان قد أسلم ليلة
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لقد مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنى عليه أجله هذه الليلة وإنا نجد ذلك في كتابنا قال فلم ألبث أن
جاءنى كتاب أبى بكر بذلك . قال فقلت لهم (١) هذا الذى ولينا بعده
ما تجدونه فى كتابكم ؟ قال يعمل بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم اليسير
ثم يموت قال قلت ثم ماذا قال : ثم يليكم قرن الحديد يملأ مشارق الأرض
ومغارها قسطاً وعدلاً لا تأخذه فى الله لومة لأثم أورده الحب الطبرى .

وأخرج أبو داود أن عمر رضى الله عنه سأل الأسقف وهو عالم النصارى
لما قدم عليه كيف تجدونى عندكم فقال قرن حديد ثم تعرض لخلافة عمان
بعده وخلافة على بعده رضى الله عنهم .

• وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال كنت ببصرى من أرض الشام
فأدخلنى النصارى ديراً كبيراً فيه تماوير كثيرة فإذا بصورة رسول الله

(١) أى لهذا العالم عندهم ومن معه من قوته وقوله : اليسير أى اليسير
من الوقت .

صلى الله عليه وسلم وصورة أبي بكر رضى الله عنه . وهو آخذ بمقب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هل ترى صفة صاحبكم قلت نعم ولا أخبركم حتى أرى ما تقولون قالوا هو هذا قلت نعم أشهد أنه هو . قالوا أتعرف هذا الذى آخذ بمقبه قلت نعم قالوا نشهد أنه الخليفة من بعده . قال وذلك فى ابتداء الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة يومئذ أوردته الحب الطبرى .

فضائل أبي بكر الصديق الخاصة به

ثم إنه مما ألجأ الصحابة رضى الله عنهم إلى المبادرة بمقد البيعة للصديق رضى الله عنه مع ما قد عرفوه له من الفضل ما أبان الله به فضله وأظهر به شأنه وغزارة علمه ونبله .

(فمنها) ^(١) ثباته عند اختلافهم فى موت النبي صلى الله عليه وسلم واضطراب عقول أشدهم بأسا عند تلك الصدمة العظيمة ^(٢) فخطبهم وقرر لهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وعزاهم به وقوى عزائمهم على الصبر ونصرة الدين والثبات على ما كان عليه نبيهم صلى الله عليه وسلم بقوله رضى الله عنه أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله للشاكرين) فكأنهم لم يسموا قبل مقامه ذلك بهذه الآية فحمدوا الله واسترجعوا وصبروا وثبتوا ولو كان الخطب عظيما .

(١) أى من تلك الأمور التى أبان الله بها فضله الخ .

(٢) أولهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ثم قال لهم ليجمع شملهم على الهدى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
إنه لا بد لهذا الدين ممن يقوم به ولم يدعهم قط إلى نفسه ولا طلب انقيادهم له
خاصة فأتاب السكل إلى قوله إلا أن الأنصار رضى الله عنهم قالوا صدقت
ولكن منا أمير ومنكم أمير أى لأنهم كانوا ممتازين أيام الرسول فالمهاجرون
حيزٌ والأنصار حيزٌ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يؤمر على
المهاجرين رجلا منهم وعلى الأنصار رجلا منهم مع أنهم كلهم يؤول أمرهم
إليه .

فعرّفهم الصديق أن للقائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم مقامه
فيجب الإجماع عليه وهى الولاية العظمى وتلك ولاية فى بعض الأحوال تكون
بنظر الامام فلا يجوز أن تكون الإمامة إلا لشخص واحد .

ثم يجب أن يكون قرشيا لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قریش »
وأىضا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)
وقد سمانا الصادقين فى قوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم
وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم
الصادقون) فقد أمرهم الله أن تكونوا تبعا^(١) فاذعنوا له واعترفوا بفزارة علمه
فمقدوا له البيعة كآرها .

ثم اختلفوا فى أى موضع يقبر النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من قال ينقل
إلى مكة لأنها مسقط رأسه ومنشؤه ومقام أبيه إبراهيم وحرم الله الأعظم .

(١) فى هذا دليل على أن أمر الخلافة لم يكن فيه نص من الرسول صلى الله
عليه وسلم وإلا لوجب على من سمعه أن يرويه للصعابة فى سقفة بنى ساعدة فى ذلك
اليوم لحرمته كتمانها ولو جوب العمل به ولم تكن هناك حاجة إلى غيره وبهذا تعلم
أىضا ما فى الروايات السابقة التى علقنا عليها واستبعدنا ثبوتها فافهم .

وقال قوم بل ينقل إلى بيت المقدس عند أبيه إبراهيم وإخوانه الأنبياء
والرسلين ، وقال قوم بل يقبر في البقيع بالمدينة عند أصحابه لأنها قد صارت
دار هجرته والبقيع « بالباء » هي المقبرة التي أمر بها صلى الله عليه وسلم
فتنازعوا في ذلك فرجعوا إليه فقال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « إن
الأنبياء تدفن حيث تقبض أرواحهم » أو كما قال فادفنوه في حجرته فزال عنهم
الخلاف واطمأن قلوبهم بركة رضى الله عنه .

موقف رائع للصديق حيال جيش أسامة

ولم يزالوا يتعرفون بركة رأيه وغزارة علمه وثبات جأشه فأول شيء
اختلفوا فيه بعد دفن النبي صلى الله عليه وسلم وعقد البيعة له جيش أسامة بن
زيد رضى الله عنهما وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمره على جيش ومات
والجيش مجموع بظاهر المدينة فأشار جمهور الصحابة على أبي بكر بتخليقه ليكون
عونا للمسلمين خشية أن يحدث على المدينة حدث قبل استقرار الأمر فأبى
إلا تنفيذه لجهته وقال والله لو جرت السكلاب بأرجل أمهات المؤمنين أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ما حلت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده ويكون ذلك أول شيء أبدا به في امرى فنفذه لشأنه فحمدوا عاقبته وبركة
رأيه لما كان في ذلك من الإرجاف بكثير من أعداء الدين ، وكانت الأعراب
التي حول المدينة قد أشاعوا الردة فلما رأوا ذلك قالوا والله ما تجاسر هؤلاء
على تجهيز الجيوش إلا وأمرهم مجتمع وشملهم متحد فانكسر به حذم .

موقف آخر رائع للصديق في حرب الردة

ثم من العرب من ارتد كبنى حنيفة ومنهم من منع الزكاة فقط فعزم على
قتال الكل فتنازعه الصحابة أولا في قتال مانعي الزكاة وقالوا كيف نقاتلهم

وهم يقولون لا إله إلا الله وقد قال صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» فقال ألم يقل «إلا بحقها» وهذا من حقها والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة لأنهما مقترنان . في قوله تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) قالوا له فملكك تعرض أولا عن مانعي الزكاة وتستعين بهم على أهل الردة ثم إذا استقر الأمر فلك فيهم شأنك فقال فإن ترك آخرون الصلاة وآخرون الصيام وانحلت عرى الدين عروة عروة فماذا أفعل ؟؟ بل استعين بالله على نصرة دينه وهو خير الناصرين فانشرحت صدورهم برأيه المبارك وأيقادوا له وعرفوا بذلك علو همته وشدة عزمه فحصل النصر والظفر واستقرت قواعد الدين ببركته رضى الله عنهم أجمعين .

ما ورد في فضل علي بن أبي طالب وآل البيت

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من كنت مولاه فعلي مولاه» أخرجه الترمذى وأحمد ، وفي بعض طرقه «ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره» . وعنه أيضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أعلى أنت أخى في الدنيا والآخرة» أخرجه الترمذى .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا على سرية فلما رجعوا شكاه أربعة نفر من السرية والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ثم أقبل عليهم والغضب يعرف في وجهه فقال «ما تريدون من على إن عليا منى وأنا منه وهوولى كل مؤمن من بعدى» أخرجه الترمذى وأحمد .

وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف على بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي أخرجه البخارى ومسلم .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به إن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الخوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما أخرجه الترمذى .

والاخبار الواردة في فضل على وسائر أهل البيت الطيبين الطاهرين أكثر من أن تحصر وفضاهم ومجدهم وفخرهم أشهر من أن يذكر^(١) .

وليس من شرط محبتهم وموالاتهم الغلو في الدين واتباع سبيل المفسدين قال الله تعالى (لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) .

وما استمسك به المبطلون في أن هذه الأحاديث وأمثالها تقتضى أن يكون سيدنا على هو الوصى بالخلافة وأن خلافة الثلاثة من الاتقياء قبله معصية مخالفة^(٢) لنص الرسول وإفك مفترى أجترؤا عليه سفها بغير علم افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ، وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا . (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشاء به منه

(١) كل ما ورد من هذه الأخبار يدل على الفضل لا على التفضيل في الخلافة كما يزعم الروافض

(٢) مخالفة خبر قوله وما استمسك به المبطلون .

ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) على وفق آرائهم الفاسدة (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب) (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) . (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل لهم وأملى لهم ذلك بآئهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) .

* * *

وأي سخط أعظم ممن يعتقد رأياً يؤدي إلى تكذيب الله تعالى ، وتكذيب أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وتخطئة علي وابن عباس وأتباعهما من سادة أهل البيت بموالاتهم الصحابة ونسبتهم إلى خذلان دين الله بتركهم بذل أنفسهم في نصره الله ورسوله إلى غير ذلك من الآثار القبيحة والفضائح الشنيعة قبح الله معتقديها الذين استحبوا العمى على الهدى وأذاقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون .

* * *

يا عجباً أي عقل أو نقل يقتضي أن يرتكب مثل ذلك بمجرد احتمال قام الإجماع على أنه غير مراد مع أنالو وجدنا ألف آية في كتاب الله تعالى وألف حديث يتواتر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم متطابقة على الأمر بتولية علي بعد النبي ثم وجدنا الإجماع منعقداً من الصحابة ومن علي أيضاً على أن الصديق أولى بالخلافة وعلى تصويب ما فعلوه كانت القواعد المقررة والأصول الحرة المتفق عليها بين أئمة الدين تقتضي إما حمل تلك النصوص كلها على النسخ وبمحو الله ما يشاء ويثبت، وإما على التأويل المؤدى إلى الجمع بينها وبين ما أجمعوا عليه ولم يداخلنا شك في أنهم إنما امتثلوا بما أجمعوا عليه أمر الله تعالى ولم يتعدوا حكم الله لأننا إن لم نعتقد ذلك لزمنا اعتقاد بطلان الكتاب كله

والسنة كلها وحصلنا على مراد أعداء الله تعالى المتظاهرين بالرفض المضمين
الكفر المحض فكيف لا نقول احتمال أحاديث قد عورضت بما هو أقوى
منها متنا وسنداً مستنداً إلى الإجماع وتقرير كل نص في محله .

الرد على الخصم فيما ذكره من الأحاديث

فقوله صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعليّ مولاه »^(١) ومثله
« عليّ ولي كل مؤمن بعدى » يحتمل أن يريد ما زعمه الخصم وهو إثبات
الولاية لعليّ عليهم والتصرف فيهم بعده صلى الله عليه وسلم من غير فاصل بينه
وبينه^(٢) ويحتمل أن يكون مع فاصل .

ويحتمل أن يكون المراد بالمولى القائم بالنصرة والتقدير من كنت مولاه
فعليّ قائم مقامى بعدى في نصرته وهو ناصر كل مؤمن بعدى ، أو من كان عليّ
نصرته فعليّ عليه ذلك أيضاً لأن قرابة الرجل تتحمل ما على قريبه وفائدة
اختصاصه بذلك ما عرف أعلى من النصرة لدين الله بما لم يعرف لغيره فكم جلى

(١) أصله عند الخصم كما في المواقف أنه عليه الصلاة والسلام أحضر القوم بعد
رجوعه من حجة الوداع بغدير خم (وهو موضع بين مكة والمدينة بالجلفة) وأمر
بجمع الرجال فصعد عليها وقال لهم أليست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت
مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل
من خذله فزعم الخصم أن المراد بالمولى الأولى بالتصرف وقال العضد في الرد عليه
لأن سلم صحة الحديث وقد طعن فيه ابن أبى داود السخيتاني وأبو حاتم الرازي
وغيرهما من أئمة علم الحديث ومن يرويه البخاري ومسلم وغيرهما في الصحاح على أن
أكثر الروايات مروية مقدمة الحديث فيتعين أن المراد بالمولى الناصر يدلل آخر الحديث
وتفسير الخصم لا يناسب لغة فالحق تفسيره بالناصر أهملخصا .

(٢) العبارة في الأصل قلقة غير مستقيمة فأصلحناها بما ترى .

من كروب وكم كابد من حروب وكم فتح الله على يديه في زمنه صلى الله عليه وسلم وكان ذلك كله منه انصرة الله ورسوله والله ورسوله ولي المؤمنين (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) أى ناصرهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم وإذا كان كذلك أعلمهم أيضا أنه يبقى بعده على ما كان عليه ناصرًا لمن كان النبي ناصرًا ، وصدق صلى الله عليه وسلم فكم أشاد الله به من دعائم الإسلام وأثبت له بها المنة في عنق الخاص والعام ^(١) .

ويحتمل أن يريد به إنباب الخلافة له في الجملة لسكن بعد فاصل بينه وبينه وقد وقع ذلك ، وهذا كما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم رأى في مقامه حورية في الجنة لعثمان فقال لها لمن أنت قالت للخليفة بعدك ^(٢) ومثل ذلك جائز في كلام العرب حقيقة ومجازا لصدق البعدية حتى على أهل عصرنا هذا ولو صدق عليهم اسم الخلافة حقيقة لم يزل اسم الخلافة مستمرا على مر الزمان لأن قولنا جاء زيد بعد عمر ويحتمل أنه جاء بعده من غير فاصل ومن غير مهلة ويحتمل عكس ذلك فكذلك قوله بعدى ^(٣) على هذا الوجه محتمل ، وعلم الصحابة بترجيح الاحتمال الثاني ^(٤) بتولية أبى بكر في الصلاة مع حضور على وغيره

(١) في الأصل فكم أشاد الله من دعائم الإسلام وما أثبتناه هو المناسب .

(٢) فبعديته في الرؤيا بعدية غير مباشرة كما هو الواقع :

(٣) أى قوله صلى الله عليه وسلم بعدى في الحديث السالف وهو « على ولى

كل مؤمن بعدى » .

(٤) وهو أن المراد بالمولى القائم بالنصرة دون المتصرف وإلا لكان على متصرفا في حال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى الذى يزعمه الخصم لعدم تفيد البعدية في هذا الحديث وهو باطل قطعًا باتفاق الفريقين فوجب حملة على القائم بالنصرة فلا ينتم للخصم الاحتجاج بهذا الحديث على ما يزعمه .

[و] هو خبر متفق على صحته (١) بخلاف شيء من هذه الأخبار فإنها غاية ما تبلغ درجة الحسن سوى قوله « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » .

الرد على الخصم

في الاستدلال بحديث أنت منى بمنزلة هارون من موسى

وقد علم من سياق القصة أنه قاله له تطبيها لخاطره وإعلاماً له أن ما اختاره له من الخلافة عنه بالمدينة عند سيره إلى الجهاد في تلك المرة لا غير لانقص عليه فيه وأن تلك المنزلة بمنزلة هارون - الذي هو أرفع منه درجة - من موسى حيث يقول موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي ، وأن الرفعة له فيما اختاره له من الماضي معه كما هو أكثر أحواله والتخلف عنه كما في تلك المرة (٢) وكيف يكون

(١) قوله بتولية أبي بكر يتعلق بقوله علم الصحابة أي علمهم بترجيح الاحتمال الثاني سببه تولية الصديق في الصلاة إلى آخره ثم قال وهو أي توليته في الصلاة خبر متفق على صحته ولذلك زدنا الواو وقلنا وهو خير وكان الأصل هو خبر وعليه تكون العبارة ركيكة فأصلحناها كما ترى وهو المناسب .

(٢) لما خرج صلى الله عليه وسلم إلى تبوك لم يأذن لأحد في التخلف عنها وهي آخر منازيته صلى الله عليه وسلم فلم يتخلف عنه إلا النساء والصبيان أو من هو معذور لعجزه عن الخروج أو من هو منافق واستخلف علياً على المدينة فقال بعض المنافقين إنما خلفه لأنه يبعضه فخرج على إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي وقال أنخلفني مع النساء والصبيان وهو مع ذلك رجل الحرب الشجاع للقدام الحريص على أن يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم جميع الوقائع لعظم أجرها فبين له صلى الله عليه وسلم أنه إنما استخلفه لأمانته عنده وأن الاستخلاف ليس لبعض ولا غرض فإن موسى استخلف هارون على قومه فكيف يكون بغضا وموسى يفعل بأخيه فطبيب بذلك قلب على وبين له أن جنس الاستخلاف يقتضي كرامة المستخلف وأمانته لا إهانته ولا تخوينه .

مراده بذلك تولية الخلافة بعده وهارون المشبه به مات قبل موسى عليه السلام وإما خلفه فتاه وصاحبه في سفره يوشع الذي هو بمنزلة الصديق الثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فصيح أن عليا منه في تلك المرة بمنزلة هارون من موسى وأبو بكر منه بمنزلة فتى موسى من موسى في تولية عهد الخلافة بعده ، وفائدة جمع المسلمين وإشهادهم «على ما في بعض طرق الحديث من قوله أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه إلى آخره» إخبارهم بأن عليا كان خليفهما ولأه عليه من أمر السرية بل ومتأهل لتولية أمر الأمة بعده أيام خلافته التي وقعت لأسباب وقد شكروا منه فأراد التنبيه على جلالة قدره وتعريفهم بأنه سيولى أمرهم ليقمروا على اعتياد طاعته ويتوطوا به الآمال إذا توفى عنها كائنة وإيحذرهم من مخالفته والخروج عليه لما أطلعهم الله من أنهم لا يجتمعون عليه لتكون إقامة للحجة على من يعمل على خلافه يومئذ .

ولو كان المراد ما زعمه الخصم للزم منه ما يترتب عليه من المفاسد السابقة فوجب العدول عنه عقلا ونقلا .

ولم يكن هذا الاستخلاف من خصائص على كرم الله وجهه فقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا غيره في غزوات سابقة ولم يقل أحد إنه دليل على خلافة المستخلف بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين وقد استخلف الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أبا بكر على الحج واردفه بعلي فكان أبو بكر أميرا عليه وعلى من معه وكان على تحت امرته يصلي خلفه ويأتمر بأمره فكان ذلك دليلا على فضل أبي بكر عليه رضي الله عنهما .

إخام الحسن المثني لمثل هذا الخصم

وما أحسن قول الحسن المثني بن الحسن بن علي رضي الله عنهم لما قال له الرافضي بزعم ما زعمه الخصم الاسماعيلي: ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال الحسن أما والله لو عني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزعمه من الخلافة بعده وتوليته عهده لأفصح به ولقال أيها الناس إن عليا هو ولي عهدي والخليفة من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا أي كما أفصح بالصلاة في قوله مروا أبا بكر فليصل بالناس وكما قال أسمعوا وأطيعوا وإن كان عبدا حبشيا .

ثم قال واثبت كان ما زعمتم حقا أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار عليا لهذا الأمر بمشهد من المسلمين فإن عليا يكون أعظم خاق الله إنما وأخشهم خطيئة وجرا ما إذ ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام بأمر الله وحاجي فيه للناس ، أورده الحب الطبري .

الرد على الخصم في الاستدلال بحديث المؤاخاة^(١)

وأما قوله صلى الله عليه وسلم لم لعلي « أنت أخي في الدنيا والآخرة » فذلك بعد أن آخى بين المسلمين وجاءه على تدمع عيناه قال يا رسول الله آخيت بين أصحابك

(١) قال في منهاج السنة إن حديث المؤاخاة موضوع عند أهل المعرفة بالحديث واضعه كاذب جاهل والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ أحدا ولا آخى بين مهاجري ومهاجري ولا بين أبي بكر وعمر ولا بين أنصاري وأنصاري وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار في أول قدومه المدينة وآخى بين علي وسهل بن حنيف كما آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ليعقد صلة بين المهاجرين والأنصار وكانوا يتوارثون بهذه الأخوة حتى نزل قوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وما يرويه الشيعة من قوله صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني بمنزلة أخي ووصي وخليفة من بعدي وقاضي =

ولم نؤاخ بيني وبين أحد فالسياق يدل على وقوع القول وجوبا تطايها لقلبه مع أنه حق في نفسه، والأخوة هنا أخوة الإسلام، واختصاص على بها في هذا المقام فضيلة هو لها أهل .

رجحان فضائل الصديق

واسكن إذا قوبلت ^(١) هذه الفضيلة بفضيلة الصديق التي أنبتها له صلى الله عليه وسلم ابتداء بقوله وهو على المنبر قبل أن يموت بأيام قلائل في مرضه الذي مات فيه وقد خرج عاصبا رأسه بخرقة فعمد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل وإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لا اتخذت أبا بكر خليلًا واسكنه أخى وصاحبى وفي رواية ألا وإني أبرأ إلى كل خل من خلقه أخر - البخارى ومسلم والترمذى مع اختلاف في بعض الألفاظ ، واتفقا على قوله لو كنت متخذًا خليلًا لا اتخذت أبا بكر خليلًا واسكن أخى وصاحبى — ظهر لك أن الله يمن على من يشاء من عباده ويختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأن قوة السند من السند واثن من اثن ^(٢) والفضيلة من الفضيلة والقول المبتدأ من القول المستدعى وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير

== ديني فهو كذب مفترى باتفاق أهل العلم بالحديث كما ذكره الإمام ابن حزم وابن الجوزى في الموضوعات اه ملخصا والمصنف هنا تأول الحديث على فرض ثبوته ولكن الحق أنه غير ثابت وأنه من مقتريات الشيعة .

(١) جواب إذا قوله فيما يأتى ظهر لك أن الله يمن إلخ .

(٢) وقد علمت أن حديث المؤاخاة موضوع وأما حديث الخلة فهو في الصحاح فيمنهما ما بين الكذب والصدق من البون الشاسع .

الرد على الخصم في الاستدلال بحديث التمسك بالعروة

وأما قوله صلى الله عليه وسلم «إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا إلى آخره» ^(١) فصدق صلى الله عليه وسلم وأمكن الشأن في فهم من هو أحق بهذه الفضيلة فإن كان ^(٢) أهل بيته العباس وابنه وعلياً وبنيه ومن افتنى أثرهم واتبع أفعالهم وأقوالهم من أهل البيت إلى يوم الدين فقد ظهر مصداق ذلك إذ لم يزالوا قرناء كتاب الله وسنة رسول الله وانفشر عنهم من التفسير والحديث والفقه والمواظ والحكم والسياسات الرياضية وغيرها ما طبق الأرض وملا أقطار الدنيا، فعلى مخالفتهم منا ومن الخصم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وبيننا وبين الخصم تحكيم النصوص عنهم أولاً ثم المباحلة فنجعل لعنة الله على الكاذبين وإننا أو إياهم لعللى هدى أو فى ضلال مبين .

وقد سبق عن أهل البيت ما فيه كفاية لقوم يؤمنون (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم

(١) روى هذا الحديث مسلم والترمذى بألفاظ مختلفة وقد سئل عنه أحمد فضعه كما ضعه غيره وأجاب عنه بعضهم بأن المراد أن أهل البيت كلهم لا يجتمعون على ضلالة قال ونحن نقول بذلك ونقول إنهم لم يتفقوا على شيء من خصائص مذهب الرافضة بل هم المتزهون عن التدنس بشئ منه والثابت عن جميع علماء أهل البيت من نبي هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين وولد الحسن وغيرهما أنهم كانوا يتولون الشيخين ويفضلونهما على علي وقد ذكر ذلك الدارقطنى وعبد الله بن أحمد والحلاب وابن بطة والأجري واللالسكافى والبيهقى وأبو ذر المروى وأبو حفص بن شاهين والإمام أحمد وأبو نعيم والثعلبى اهـ ملخصاً من منهاج السنة .

(٢) أى فإن كان الأحق أهل بيته الخ .

في طغيانهم يعمهون) (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون).

قدح الخصم في الخلفاء الثلاثة ورده

وأما ما أجتراً عليه عدو الله من القدح في الثلاثة الخلفاء رضى الله عنهم فقد علمت مما سبق أن القدح فيهم خاصة وفي سائر الصحابة عامة يؤدي إلى الكفر الصريح الذي ليس بعده كفر فأتخذ ذلك أصلاً لترد به تزويرات أهل الأباطيل، وتحمل به ما صح وثبت على أجمل الحامل وأحسن التأويل.

وكان الأولى بنا أن لا نلوث كتابنا بما ألقاه وبجمل لهم أسوة بما قد افتراه أعداء الله على الله :

قد قيل إن الإله ذو ولد وأن هذا الرسول قد كهننا
فما سلم الله من بريته ولا رسوله فكيف أنا

لكن رأينا أن نكافئه عنهم بسوء فعله ونكشف الخطاء عما غره من قبيح جهله بنسكت تشير إلى الجواب وتهدى إلى جادة الصواب.

الرد على الخصم في قصة أم محمد بن الحنفية

أما قوله إن علياً رضى الله عنه قد أسفقت أم ابنه محمد بن الحنفية من يد أبي بكر إذ كان لا يجوز لأبي بكر سبها فهذه العبارة الخشنة من أين لقمها وعن تلقفها أم من هواه اختلقها أم من مخارق أهل مذهبه الفاسد اخترقها، بل الحمل الصحيح في ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه رأى جواز سبي نساء أهل الردة قياساً على الكفار الأصليين فوافق الصحابة يومئذ على ذلك وهي مسألة اجتهادية للاحتمال فيها مجال ثم ترجح بعد ذلك للصحابة الفرق بين الكافر الأصلي وبين المرتد فلا تسبي ذراري المرتدين وكانت خولة أم ابنه محمد من السبي.

فإن صح أن علياً جدد نسكها من وإيها أو غيره فمحمول على الورع والاحتياط ، قبل ترجيح عدم جواز سبي المرتدين ، وعلى تدارك الصحة إن كان بعد الترجيح ^(١) ولا يقترب على ذلك قدح ولا ذم أصلاً .

أما قوله لأنها من قوم لم يجر منهم ما يوجب القتال فإن كانت هذه الفتوى منه على دين محمد صلى الله عليه وسلم فكذب عدو الله لانمقاد إجماع الأمة على أن بني حنيفة أرتدوا وادعى فيهم مسيلة للكذاب لعنه الله النبوة وافتري على الله وقال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء . وقال سأنزل مثل ما أنزل الله وتزوج بسجاح اليربوعية المدعية للنبوة أيضاً وأمرها أن حط عن قومه صلواتي الصبح والامساء ولا خلاف بين المسلمين في كفرهم .

كفر علي بن الفضل القرمطي الاسماعيلية

وإن كان علي مذهب إمامه وقدوته عدو الله (علي بن الفضل القرمطي) فصدق لأنه لما استولى على اليمن وتمكن أظهر ما تضرره الاسماعيلية من المذهب الخبيث وادعى أولاً النبوة وكان يؤذن المؤذن بين يديه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله وأستباح المحظورات وأحل الخمر والزنى ونسكاح البنات وأنشد أبياته المشهورات .

| | |
|-------------------------|---------------------|
| خذني الذئب ياهذه واضربي | وغنى هزازيك ثم اطري |
| تولي نبي بني هاشم | وهذا نبي بني يعرب |
| لكل نبي مضي شرعة | وهذه شرعة هذا النبي |

(١) في العبارة غموض والظاهر أن قوله أولاً قبل ترجيح أصله بعد ترجيح وقوله ثانياً بعد الترجيح أصله قبل الترجيح تأمل وحرره والله أعلم .

فقد حطَّ عنا فروض الصلاة وحطَّ الصيام فلم تقبني
 إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلني واشربي
 ولا تطأني السعى عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب
 ولا تمنني نفسك للعرسين من الأفريين ولا الأجنبي
 فكيف حلت لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
 أليس الغراس لمن ربّه وأسقاء في الزمن المجذب
 وما الخمر إلا كماء السما حلال فقدّست من مذهب

بل قبّحه الله من مذهب .

ثم ادعى الربوبية ثانياً فكان إذا كتب كتاباً قال فيه من باسط الأرض
 وداحيها ومزئز الجبال ومرسيها على بن الفضل إلى عبده فلان ، فلا رحم الله
 مشواه ولا بلّ بشيء من وابل الرحمة ثراه .

فمن كان هذا إعلان أسرارهِ وعنوان صحيفته إضماره فكيف يميل إلى
 مذهبه من يدعى الإيمان فضلاً عن أن يعتقدّه أقوم الأديان (ترى كثيراً منهم
 يقولون الذين كفروا كذبوا ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب
 هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولا يكن
 كثيراً منهم فاسقون) .

إمرة أبي بكر على عليّ وصلاة عليّ خلفه

وأما قول عدو الله إن علياً لم يتأمر عليه أبو بكر^(١) ولا غيره ولا صلى

(١) قد سبق في فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية أن أبا بكر تأمر على علي في
 حجته التي أقام فيها مناسك الحج بأمره صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع اهـ .
 وأقول إنه صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر في هذه الحجة كاستخلافه عنه
 في الصلاة في مرضه فيكون قد استخلفه مرتين مرة في حالة الصحة ومرة في حالة
 المرض وفيهما إشارة ورمز إلى خلافته بعده مباشرة فافهم .

خلف أحد من الخلفاء قبله فكذب مفترى ، وقد سبق تصريح على نفسه بأنه بايع أبا بكر وعمر طائعا وعلى ذلك أنعمد الإجماع لـكن لم يبايع أبا بكر إلا بعد مضي ستة أشهر من خلافته واعتذر إليه عن تحلفه ، وقد سبق في خطبة على أيضاً أن أبا بكر صلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أيام^(١) ولم يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر في تلك المدة ، ولا معنى للسؤال عن ذلك لأنه إنما أقامه نيابة عنه لعدم قدرته على الصلاة بالمسلمين وكفى لأبي بكر غمرا قيامه مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم في عمود الاسلام .

رد قول الخصم في دفن الشيخين في القبر الشريف

وموضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم كان ملكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه تركته بعده تصرف في المصالح ولأزواجه بعده في ذلك حق السكنى كما لمن حق الاتفاق من صدقائه ثم يصير فيهما للمسلمين فلما قبر النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها بقي ذلك الموضع الباقي مستحقا لعائشة فيه السكنى والبيت بينهما تأذن لمن شاءت فأذنت لأبيهما في ذلك ثم استأذنها عمر عند موته وأمر باستئذانها بعد موته أيضاً فأذنت له حيا وميتا .

وقد سبق ذكر قول على في عمر إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر بقبر يحفر فقال قبر من هذا فقالوا قبر فلان الحبشي فقال سبحان الله سيق من أرضه إلى الأرض التي خلق منها ، وقال على إنى لأعلم لأبي بكر وعمر فضيلة ليست لأحد خلقا من تربة خلق منها النبي صلى الله عليه وسلم أورده الحب الطبري .

وكفى بهذه شهادة من المصطفى ومن على لهما بان جعلهما عنده من أكبر المناقب فكيف يضاد عدو الله قولهما ويجعل ذلك من أقبح المثالب ؟؟

(١) وظاهر أن عليا لا يترك صلاة الجماعة بل كان يصل خلف أبي بكر في هذه الأيام السبعة كما كان يصل خلف الرسول صلى الله عليه وسلم في غيرها .

الرد على الخصم في ادعاء الوصية لعلی بالخلافة

وأما تركه صلى الله عليه وسلم الوصية بتمعين الخليفة بعده فقد سبق أنه صلى الله عليه وسلم اشفق على أمته من أن يحصل منهم عصيان لخليفته أو خليفة خليفته وهم جرا فيحل بهم العذاب فوكل ذلك إليهم ليجمع لهم بين فضيلة الاجتهاد وبين السلامة من الوقوع في المحذور ولو بعد حين ، ودعوى الخصم الوصية لعلی خلاف الإجماع إن أراد بذلك الخلافة الكبرى وأما في أمور جزئية فمسلم .

وكون علی رضي الله عنه يسمى وصياً فقد سئل عنه علی فقال لا ، وقد سبق قوله لم يعهد إليفا في ذلك شيئاً ، وإعما هو شيء رأيناه من أنفسنا فهو تكذيب لعلی نفسه .

هذا مع إجماع المسلمين على تسمية الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على أنه لم يستخلفه فان صح تسمية علی بالوصي فكذلك .

الرد على الخصم في طعنة علی عثمان

ونزول أبي بكر وعمر عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المنبر أدب ليس بواجب ، وعود عثمان إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم اتباع لسنة النبي وعمل بما عمل وهو أفضل يومئذ لما فيه من المصلحة لأنه يترتب على ذلك لوبقى كل خليفة ينزل درجة تبين هجران سنة المنبر ، ولسكان الخليفة اليوم يخطب الناس وهو في تخوم الأرض .

وإذا صحت إمامته نفذت تصرفاته كلها من الأخذ والعطاء والنفى والابقاء بنظر المصلحة .

وفدك^(١) صارت بالإجماع غير ميراث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان
مذهب عثمان وكثير من العلماء أنها للوالى بعده لأنه القائم مقامه فاستحقها
عثمان كلها ووهبها لأرحامه ، وعند الباقيين أنها صارت فيمن المسلمين من جملة
المصالح العامة يتصرف فيها الوالى كيف شاء بحسب ما يراه من المصلحة .
وعلى كل تقدير فقد اتفقوا على تصويب عثمان فيما فعله فيها وفي غيرها
ماسوى عدو الله وأهل مذهبه .

الرد على الخصم فى طعنه على عمر

ولو أن عمر رضى الله عنه قتل أنفاس أمثال سعد بن عباداة وأمثال الزبير
مخلفاء على الصواب وموافقة حكم الله^(٢) بعد أن نصح لإمامته لأن تصرفات
الأئمة لاسمها عمر محمولة على الصحة ما لم يعلم مخالفتها لنص فضلا عن تخطئته
بضرب أو كسر سيف لاصحة له ، وقد قال يوم أوصى بالخلافة شورى بين
السنة وهو فى تلك الحالة إذا اتفق أربعة منهم على رأى وخالفهم أنفاس أى من
السنة المذكورين فاشدخوا رؤسهما بهذا السيف فنظرهم رضى الله عنهم مصروف
إلى ما يصلح الأمة وحسابهم على الله تعالى لا إلى محاباة زيد وعمر .

بيان ما أشكل على الخصم

وكرهته صلى الله عليه وسلم أن يفقشر إخباره بالخليفتين من بعده محمول
على أمر الله له بذلك وهو مأمور بالتبليغ فيما أمر بتبليغه وبالسكتان فيما أمر
بكتمه ونخير فى أشياء يبلغها ان شاء ويخبر بها من شاء ويكتبها على من يشاء
ومن المحتوم عليه التبليغ فيه تبليغ القرآن ومتى لم ينص على شيء لا يقال لم لم ينص
عليه وإنما عايضا قبول ما جاء عنه من غير اعتراض بعمومات القاصرة عن إدراك
أسرار النبوة .

(١) فذلك محركة ببلدة بخير قرب المدينة .

(٢) هذه مبالغة كثيرة وكان ينبغى التعبير بغيرها .

والخلافة باقية إلى الآن بمصر^(١) في بني العباس لا يصبح عندهم تولية سلطان إلا بعقد يعقد له من الخليفة القائم في كل عصر .

* * *

ونجاح عمر رضى الله عنه لأُم كلثوم^(٢) متفق على صحته ومذهب جمهور السلف والخلف أن الكفاءة في الحرية والدين والمعة كافية وقد زوج صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت فيس القرشية من مولاه أسامة بن زيد واختاره لها على قریش وليس لها ولى غير الشرع ، والغبطة والمصاحبة عند ولى أم كلثوم بنت على كانت أظهر من الشمس ، وإنما خفيت على حزب الشيطان ، وما اعتبره الشافعى من مراعاة الكفاءة في النسب أيضاً مذهب الجديد والمسئلة اجتهادية واختلاف المجتهدين في الفروع لا قدح فيه .

* * *

وكل ما نقل في أمر فذك من ميراث أو غلة شيء منها فان تقرير على لها على ما كانت عليه أيام الخلفاء قبله يكذب ذلك كله .

سفاهة شيعى في عهد السفاح العباسى ورده

وقد قام بعض العلوية في جامع الكوفة والمصحف في عنقه بين يدي السفاح أول خلفاء بنى العباس وناشده الله أن يصفه بمن ظلمه ، قال ومن ظلمك ؟

(١) ذلك كان في عهده أما الآن فقد زالت الخلافة من مصر وغيرها من أقطار الإسلام بانقراض الدولة العباسية وما قام في عهدها وبعدها من الدول التي تدعى الخلافة وزالت الخلافة من الوجود أخيراً بانكسار الدولة العثمانية إثر الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م .

(٢) الذى زوج عمر أم كلثوم هو وإياها على كرم الله وجهه فعلى من اعترض الخصم أعلى عمر أم على وهل هو أدرى بشروط الكفاءة من على نفسه .
إنه لغريب .

قال أبو بكر أخذ ميراث فاطمة من فذك قال فهل كان بعد أبي بكر خليفة قال
نعم عمر قال فما فعل فيها؟ قال أقام على ظلمنا قال فهل بعده من خليفة قال نعم عثمان
قال فما فعل؟ قال أقام على ظلمنا قال فهل بعد عثمان من خليفة قال نعم علي
قال فما فعل فيها فبهت فقال السفاح وايم الله لولا أن هذا أول مقام قتله فيكم
لذكت بكم ، فقل لا عدا لله ما منع أيضاً علياً أن يعمل فيها ما يضمرونه في
أنفسهم أيام خلافته (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً أرايت
من اتخذ آلهه هواء أفانت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أن أكثرهم يسمعون
أو يعقلون إن هم إلا كالا نعام بل هم أضل سبيلاً) (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمس
الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله
غفور رحيم)

الخاتمة

في زيادة شرح لقوله صلى الله عليه وسلم : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به
الحديث ، والحث على حب أهل البيت واكرامهم ، وفيها فصلان :

الفصل الأول

في نكت لطيفة في شرح الحديث المذكور

فقوله إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به أي الذي إن تمسكتم به فما موصولة
والجمله الشرطية صلتها ، أو شيئاً إن تمسكتم به فهي نكرة موصوفة بالجملة
الشرطية ، والتمسك بالشئ التعلق به وحفظه .

وقوله أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله إنما كان القرآن أعظم
لأنه أسوة تقتدى به للعترة المأمور بالافتداء بهم أيضاً كما يقتدى به وسهم
سائر الناس .

وقوله حبل ممدود من السماء إلى الأرض : لما ذكر التمسك حسن أن يشبه القرآن بالحبل الممدود من السماء إلى الأرض ، ووجه الشبه بينهما أن من وقع في بر أو مهواة فسيبيل نجاته وانقاذه أن يدل له حبل من أعلى ليسك به فيرتفع ولما كان الناس ^(١) قبل نزول القرآن واقعين في مهواة الهلاك من السكر والضلال المفضي بهم إلى خسران الدنيا والآخرة ، وبعد نزوله واقعين في مهواة طبائعهم مشغولين بشهوات أنفسهم معرضين عما يهمهم من أمر آخرتهم المفضية بهم إلى الاحطاط عن الرتبة العلمية الفاخرة ثم أنزل الله سبحانه كتابه الذي بصر به بعد العمى وهدى به بعد الضلال وأحيى به القلوب بعد موتها واستنقذ به النفوس من أسر شهواتها رفعهم بذلك من تلك المهواة المهاكمة إلى سواء طريق النجاة الموصلة إلى الفوز للعظيم والنعيم المقيم وقد قال الله تعالى فيمن ونع في مهواة شهواته الدنية وانحط عن رتبة الهمة العلمية (ولو شئنا لرفعناه بها) أى بآياتنا إلى منازل الأبرار ومراتب العلماء الأخيار (واسكنه أرحم إلى الأرض) أى مال إلى الدنيا ، ولما كانت الأرض سفلا للسماء المرفوعة عبر باستفال درجته عن الأرض السافلة بعد تعبيره عن علو درجته بالرفعة (واتبع هراء) ولم يتبع مقتضى آيات الله الحق عليه ما حق من الخسران والعياذ بالله .

وقوله وعترني أهل بيتي : عتره الرجل بكسر العين المهملة وسكون التاء المنناة من فوق تطلق على عشيرته الأقربين والأبمدين ولهذا قيده هنا بقوله أهل بيتي ليبين أنه أراد بذلك أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وهم عند الجمهور من حرم الصدقة من بنى هاشم والمطلب ابنى عبد مناف .

(١) جواب لما قوله بعد رفعهم بذلك من تلك المهواة الخ .

ومعنى التمسك بالقرآن العمل بما فيه بامتثال أوامره واجتناب مناهيه ،
ومن جملة ذلك تعظيم ما عظمه الله من عباده النبيين والمرسلين والملائكة
وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفة ما يجب لهم من الحزمة والتكريم
والحبة لإجلال الله ورسوله لهم وحبهما لهم .

ومعنى التمسك بالعقرة اتباعهم فيما اتبعوا فيه حكم الكتاب وطاعتهم فيما
أطاعوا فيه الله ورسوله ومحبتهم لله ورسوله من غير إفراط بقلوب ولا تفريط
بتقصير .

وقوله إن يفترقا حتى يردا على الخوض : أى أن أهل بيتي الذين أوصيتكم
بالتمسك بسيرتهم كأوصيتكم بالتمسك بالقرآن إنما جمعت لكم بين الوصية
بهما لالتزام أهل بيتي أحكام القرآن في سيرتهم التي هم عليها حال الوصية وأهم
لا يزالون عليها حتى يلقوا الله تعالى ملازمين لحكم القرآن فيبعثون على
ما ماتوا عليه .

والوصية بالتمسك راجعة بالاصالة إلى الموجودين من أهل البيت وهم علي
وابناء والعباس وبنوه وغيرهم ، وبالقبيلة إلى كل من سيحدث من نساهم إلى
آخرهم إن لم يفارق حكم القرآن المأثور بالتمسك به قبله ، ولم يبطل حكم الاقتران
بالمخالفة ، ولم يقطع رحم المصطفى بمخالفة سنته السنية ورحم أهل بيته الطاهرين
الطاهرين بمخالفة سيرتهم المرضية .

ولاشك أن أهل بيته الذين أمرنا يومئذ باتباعهم والتمسك بهم قد ظهر فيهم
صدق الملازمة بينهم وبين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأمتازوا
بذلك عن كافة من أبتدع في الدين وخالف الكتاب والسنة وإجماع السلف
الصالحين وذلك لكثرة ما انتشر عن علي وابن عباس رضي الله عنهما من
تفسير كتاب الله وإيضاح معانيه وكشف أسرارهم ثم من نشر الحديث والفقهاء ،
ثم من علي بن الحسين وأبنه جعفر وأمثالهم ومن مشى على منوالهم من بيان

أسرار العلوم والحكم والمواعظ وسياسات النفوس إلى ما لا يحصى مع اتفاق السلف والخلف على أنهم على هدى من ربهم وأنهم لم يفارقوا في سيرتهم حكم الكتاب والسنة ، ومع اتفاقهم على أن الصحابة والتابعين لهم باحسان على هدى من ربهم ملتزمون لأحكام الكتاب والسنة ، وأن السكل حزب واحد وفريق متحد متناصرون على الحق متعاونون عليه خصوصاً أهل البيت مع الصديقين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإن موالاة علي وابن عباس وبنيهما لهما وثقاءم عليهما وغير ذلك مما قد سبق الإشارة إلى نبذة منه لا يحتاج إلى إقامة دليل ولم يقل عن واحد منهم للفض من منصبيهما الجليل فضلاً عما اتخذ دينا من يزعم أنه من ولادة أهل البيت من النفسىق والاضللىل وغير ذلك من الأباطىل .



وإذا ثبت أن أهل البيت المذكورين كانوا نصرة لمن ذكرنا من الصحابة ، وثبت أن السكل لم يفارقوا حكم الكتاب وأن بعضاً لم يضل بعضاً فهل خاف هؤلاء السادة المذكورين أحد من حزب الضلال المبتدعة الخالفين لسننهم المائىن عن طريقهم الذين أجمع السلف والخلف من الصحابة فن بعدهم وعلى وبنوه وابن عباس وبنوه ومن حذا حذوهم من السادات أهل البيت أن ما هم عليه بدعة فى دىن الله مخالفة لكتاب الله مباينة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مصادمة لما أجمع عليه السلف والخلف من هو أهدى من أولئك^(١) فإن قال الخصم نعم فقد اعترف بتفقيصه علماً وبنىه ، وكذب به الحس والعميان والسنة والقرآن ، وإن قال لا فقد اعترف بأن ما اختاره لنفسه مخالف لما عليه على وأهل بيته الأطهار ، وإن زعم أن ما هو عليه هو دين على وآله كما صرح به فى نظمه فقد اغتاب السادة وعليه البيان على دعواه من نصوص الكتب التى نقل منها فضائل على وأهل البيت وهى بيننا وبينه محكمة وإلا

(١) قوله من هو أهدى يدل من قوله أحد من حزب الضلال تأمل .

أقننا الحجة فيها على دعوانا ، وإن زعم أن ما فيها مفترى كما هو معتقد جفانه والظاهر من صفحات وجهه وقلبات لسانه فقد أبطل فضائل على وسائر أهل البيت ويلزمه إبطال جميع ما فيها من السنة من التوحيد والنبوة والصلاة والصيام وغير ذلك إذ لا فرق إلا لجرد الهوى وهو مراده لو حصل لكن (يريدون ليظفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وإذا تبين أنه على ضلال تبين أنه ومن والاه وانتحل مذهبه ممن يزعم أنهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قد فارقوا حكم القرآن ونبدوا كتاب الله وراء ظهورهم ورفضوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعوا الرحم التي أمر الله بها أن توصل وضلوا سادات أهل البيت عليا وابن عباس وبنهما فاستحقوا أن يقال لهم ما قال سبحانه وتعالى فبئيه نوح عليه السلام لما قال إن أئبى من أهلى إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، وما قاله فيمن زعم أنه أولى الناس بإبراهيم لكونه ولده (إن أولى الناس بإبراهيم للذين آمنوه) وما قاله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن آله فقال آلى كل تقى إلى يوم القيامة ، وما قاله فى بعض المنتسبين إليه : يزعم أنه منى وليس منى إن أوليائى

(١) يشير إلى أن من كان من أهل البيت إذا انتحل هذا المذهب فقد فارق حكم القرآن والسنة وقطع الرحم التي أمر الله بها أن توصل وكان كابن نوح وذلك حق لا مرية فيه فليظنر هل كان الفاطميون بمصر يعتقدون هذه النحل الضالة كما يقول دعائهم أم كانوا أبرياء منها وهل أقروها أم أنكروها . والله أعلم .

وكذلك من يزعم أنه يوالى أهل البيت ومع ذلك ينتحل هذه النحل الضالة فإنه مع مفارقتها حكم القرآن والسنة واجماع المسلمين مفارق ومخالف لأهل البيت انفسهم السائرين على نهج النبوة والصحابة أجمعين .

إلا المتقون ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنا لك وانقلبوا صاغرين .

وعلم أن الملازمة بين أهل البيت المذكورين أولا ومن تبعهم وبين القرآن ملازمة صحيحة فكل من تمسك منهم بالقرآن حتى مات صدق عليه أنه لم يفارق القرآن ولم يفارقه القرآن حتى لقي الله فلو فرضنا مثلا أنه لم يوجد من أهل بيته إلا الموجودون حال إشارته إليهم والوصية بالتمسك بهم ثم ماتوا لصح أن يقال إن أهل البيت والقرآن لم يفترقا حتى وردوا للقيامة فكذلك إذا خالفهم طوائف الضالة من ذريتهم ولم يتبعوهم على ما كانوا عليه صاروا بمثابة الممدومين ولا توارث بين أهل ملتين شتى ، أما في الميراث الديني فحكمه مبني على المخالفة الظاهرة بالكلية لأن أحكام الدنيا منوطة بالظواهر حتى أنا نورث من قال لا إله إلا الله بكفر بالله بجنانه وعصاه باركانه ، وأما في الميراث الديني فالله صلى الله عليه وسلم الذين يرثون ميراثه كل برّ تقى وإن أولياؤه إلا المتقون .

وإذا تقرر هذا فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم مأمور بالتبليغ وإقامة الحجّة وقد أطلعه الله على ما سيلقى على وبنوه من المحنة وعدم اجتماع الكلمة عليهم فأشار بهذه الوصية أن علياً كما أنه اليوم ملتزم لحكم الكتاب فإنه أيضا لا يزال كذلك إلى أن يلقي الله فتى دعاكم إلى طاعته فاطيعوه وندبكم إلى إجابته فاتبعوه فإنه يدعوكم إلى حكم الكتاب ويسلك بكم الحجّة العظمى ويهديكم إلى الصراط الأقوم وستجدونه هاديا مهديا .

ولم تتفق من على رضى الله عنه دعوة إلى اتبّاعه ولزوم طاعته في مدة الخلفاء الثلاثة قبله باتفاق من الأمة فلما آن أوان دعوته المشار إليها وبويع له بالخلافة لم ينافعه أحد قط في اسم الخلافة ولم يشك أحد في تأهله لها وأحقّيته

سها وإنما حصل بينه وبين من خالفه من مجتهدى عصره نزاع فى مسألة
اجتهادية مال كل إلى قول فيها من المبادرة إلى قتلة عثمان والتوقف وجرى
بيدهم ما جرى به القلم فكل منهم معتقد أنه على الحق وأنه مجاهد على دين
الله وأنه لو قصر فيما هو فيه فقد خان الله ليقضى الله أمرا كان مفعولا فمنهم من
اتضح له الحق بعد ذلك أنه فى جانب على كالزبير وطائفة كثيرة يوم قتل
عمار بن ياسر ، ومنهم من بقى على ما هو عليه حتى لقي الله .

ولقد غاب بعضهم الصديقيه الكبرى بنت الصديق الأكبر أم المؤمنين
المبرأة بنص التنزيل عائشة رضى الله عنها وعن أبيها على رغم أنف شائيه
وشائئها على قيامها فى ذلك الأمر فقالت ما أود أنى تركت ذلك القيام ويكون
الى به من رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أولاد ذكور وذلك فى آخر عمرها
فدل على أنها لم يترجح لها خلاف ذلك لكن أجمع الخلف من التابعين وجمهور
السلف على أن عليا رضى الله عنه كان مجتهدا مصيبا فله أجران ومخالفيه يومئذ
كانوا مجتهدين مخطئين فلهم أجر وكلا وعد الله الحسنى ، وجمهور المخالفين له
منهم من هو مشهود لهم بالجنة وهم من كان من أهل بيعة الرضوان المحكوم
لهم بالرضا الذى لا يقبل من رب العالمين ومن رسوله بتحريمهم على النار ،
ومنهم من هو من أهل بدر الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر
بشهادة الصادق المصدوق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم .

الفصل الثانى

فى البحث على محبة أهل بيته صلى الله وسلم عليه وعليهم والتنبيه على
جلالة قدرهم وعلو مجدهم ونفخهم .

أعلم أن للناس ما بين مغرط فى ذلك ومغرط « وكلا طارفى قصد الأمور

ذميم » وقد علمت من هو الأولى بهذا الاسم أى التسمى بأهل البيت ، وعلمت
أيضاً ما يجب من حبهم واحترامهم والتحذير من إهانتهم واحتمالهم نصحاء
لأمتهم وشفقة عليها ان لا تهين من أكرمه الله فيهيئها الله ومن يهن الله فما له
من مكرم .

(فمنها) قوله صلى الله عليه وسلم « أحبوا أهل بيتي لحبي » أخرجه
الترمذى وحسنه والحاكم وصححه على شرط الشيخين .

وقال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لا يدخل الإيمان قلب رجل
حتى يحبكم لله ورسوله » أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل « وأهل بيتى أذكركم الله
فى أهل بيتى كررها ثلاثاً » أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن خزيمة وابن حبان
والحاكم وصححه رحمه الله إلى غير ذلك .

وناهيك بذلك فخرراً لأهل البيت لما يتضمنه ذلك من شرف منصفهم
وإيجاب حبهم واحترامهم وتأدية حقوقهم والإحسان إليهم والحفاظة على ذلك
كله والتحذير من ضده إكراماً لسيّد المرسلين وخاتم النبيين ، وإذا كانت
العقول والعمادات بل والشرائع تقتضى إنزال الناس منازلهم واحترام أبناء
الفضلاء ومن ينسب إليهم سواء اتصل المأمور بذلك منهم بإحسان أم لا حتى
أمر الله وليّه الخضر وحجّيه موسى بمراعاة من كان أبوها صالحاً فما ظنك بمن
يدلى إلى من أرسله الله رحمة للعالمين ومن به على المؤمنين وأنقذهم به من
خسران الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن هو الآية الكبرى
لمعتبر ، ومن هو النعمة العظمى لمفتنم فأى رقبة لم تقلد بمنه الجليلة ؟؟ وأى
فرقة لم تستغفرها أياديه الجزيلة ؟؟ .

وإذا كانت أبناء الرجل الرئيس بل وعشيرته بل وغلماؤه وأتباعه بل

بوقبيلته بل وأهل بلده بل وأهل قطره بل وأهل عصره قد يسودون بسيادته
 وبشرفون بشرف رياسته ويفتخرون على من سواهم بفضله ويملون بعلو منصبه
 ونبله فهل أحد أجل قدرا وأعظم مرتبة وفخرا ممن ينسب أهل البيت إليه
 ويعولون في الدنيا والآخرة هم ومن سواهم عليه ، خيرة العالم ، وسيد ولد آدم ،
 صاحب الخوض المورد ، واللواء المعقود الذي آدم فمن دونه تحته ، والمقام
 المحمود الذي ينفط به الأولون والآخرون ، والشفاعة العظيمة التي يعجز عنها
 أولو العزم ويقول أناها ، أناها ومن كان هذا شأنه فنسبة كل شرف إلى شرفه
 كقطرة في البحار الزاخرة .

وإذا تشرف قومٌ غيره وأجلوا واحترموا لشرف من انتسبوا إليه فشرف
 أهل البيت النبوي أولى ، وقدرهم الرفيع أعلى وبينهم وبين غيرهم في الشرف
 مثل ما بين من تشرفوا به وبين غيره من البون .

ومن هنا خصوا بمشروعية الصلاة عليهم تبعاً له صلى الله عليه وسلم في كل
 مقام شريف من خطبة وصلاة وغير ذلك حتى أوجبها طائفة من العلماء كما هو
 وجه في مذهبنا مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة لم يصل فيها
 على وعلى أهل بيتي لم تقبل منه » أخرجه الدارقطني .

ويقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لو صليت صلاة لم أصل فيها
 على محمد وعلى آل محمد ما رأيت أنها تقبل ، وعليه قيل :

يا أهل بيت رسول الله حبيكم فرض من القرآن الله أنزله
 كففاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له
 وقد كانت قلوب السلف الأخيار والعلماء الأحرار مجبولة على حبهم
 واحترامهم ومعرفة ما يجب لهم طبعاً .

وبالجملة كل من في قلبه مثقال ذرة من تعظيم المصطفى صلى الله عليه وسلم
وحبه فمصدق ذلك تعظيم وحب كل من ينسب إليه بقربة أو قرابة أو صحبة
أو اتباع سنة إذ كل ما ينسب إلى المحبوب محبوب :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

فمن قام من أهل البيت بحفظ حدود الشريعة للطهارة فقد تحققت فيه
القربة والقرابة وحاز فضيلة الحسب والنسب وتوفرت فيه فضيلة الشرفين من
الجهتين ، ومن لم يسبق له نصيب وافر في الميراث للقبوى ولـكم لم يفارق
الملة الفراق الموجب للحجب حتى على ميراثه في حق القرابة وروعت فيه حقوقها
وكذا من ارتكب معصية لا تقتضى إخراجها عن الملة لم يوجب ذلك أطراح
ماله من الحقوق وتوكل إساءته وتقصيره عن الالتحاق بسلفه إلى الله إذ صلة
الأرحام مأمور بها مع القطيعة والعقوق وهو صلى الله عليه وسلم أولى الناس
بذلك إلا فيما لا بد منه من إجراء الأحكام وإقامة الحدود فتراعى حرمة الشريعة
حينئذ لأن حقهم إنما وجبت مراعاته لأجل صاحب الشرع فإذا عارضه حق
صاحب الشرع نفسه تلاشى كل حق دون حقه وكان حق الله ورسوله أولى .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «أحبوهم لحبي إياهم فتى أبغضتهم فأبغضوهم
وقد علمتم شدة بغضى لمن خالف سنتى فسيروا فيهم سيرتى وكونوا معى» .

وقال أيضا حتى يحبوكم الله ورسوله أى لا للهوى فما داموا على الطريق
المرضى الذى يحبه الله ورسوله وجب حبهم ، وإن سلكوا ما يسخط الله
ورسوله وجب مراعاة حتى الله الله ورسوله فحبهم الله ورسوله وبغضهم الله
ورسوله فان الولاية الأصلية ليست إلا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسواهما
إنما تثبت له الموالاتة بهما لا غير (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يقول الله ورسوله والذين
آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) .

وهذه قصيدة فيها انعطاف على ما سبق من أول الجواب إلى آخره مقابلة
لأبيات المبتدع وهي على روى أبياته ومن بحرهما^(١) أيضا ولسكن نصبتها
لتطابق الواقع فإن البدعة لم تزل مخفوضة وأعلام السفة منصوبة (فأيدنا الذين
آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

* * *

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| علم المحجة واضح لمن اهتدى | فذار من سبل الفواية والردى |
| هذى شريعة أحمد الفراء قد | جلت كإسفار الصباح إذا بدا |
| بيضاء كالشمس المديرة ليلها | كنهارها فتوخها لك مقصدها |
| وأستنّ سنته القويمة واعتصم | بكتابه وحديثه تلقى الهدى |
| وإذا أظلاك ليل شبهة بدعة | حار الفوى بتيها وترددا |
| فبأى أنجم صبح أحمد تقتدى | تهدى وحق بمثلهم أن يهتدى |
| قد صبح عن ليس ينطق عن هوى | هذا عموما مطلقا ومقيدها |
| وبسنة الخلفاء قال عليكم ال | هادين منهم موصيا وبؤكدها |
| وإلى الذين عفاها من بعده | صرف الوصية أمرا أن يقتدى |
| أترأه أوصانا بذلك خائنا | أم ناصحا أم مغويا أم مرشدها |
| أو عن هوى أو كان غمرا جاهلا | من كان منهم مصلحا أو مفسدها |
| كلا لقد صدقت فراسته التي | صدرت وعن عين الحقيقة أورد |
| أنى وروح القدس يفت ملهما | فى روعه ومعلما ومؤيدا |
| وبعضمة المالك القدير عن الخطا | أضحى يقول موقفا ومسدها |
| فلسورة النجم أفتتح وأعدها | الملحدين به شهابا مرصدها |
| لوجال طرف الطرف فى أثار من | أخذوا بأطراف الحديث وأسفدها |
| لأيت قرة أعين من جفة | لمحبهم ولظى الحسود إلى المذى |

كم قد أشاد بفخرهم طرا وكم
 ورمى الجمهور محذرا من سبهم
 من بعد ما أثنى عليهم ربه
 كم سورة صالت على أعدائهم
 والفتح قد ختمت بمسك ختامهم
 ثم التي فضحت عداهم أفصح
 طعنت صدور الطاعنين وأردفت
 وبآل عمران الشهادة أنهم
 أنرى الخبير بخلقه أثنى على
 جعل الفلاح لهم وإجلال الرضا
 أيقول أعددنا الجفان لهم وهم
 أو حل عقد رضا أحل عليهم
 أو عده عاقبة الأمور تغيب أو
 والله ما نزلت بهذا آياته

أفنى بمثنى فى الثناء وموحدا
 بفصال اسمهم غيظه وتهلدا
 بأجل أوصاف الثناء مرددا
 فالخسر بالأحزاب غار وأنجدا
 والنور أصبح زيتها متوقدا
 ببيان معناها البديع منضدا
 تروى المديح مطابقا ذم العدا
 خير الورى وكفاك ذلك مشهدا
 من ليس أهلا للثناء ومجدا؟؟
 خبرا وصدق العهد عنهم مبتدا
 ممن طغى فى دين أحمد واعتدى؟؟
 وقضاه فى الذكر الحكيم مؤبدا
 تخفى تقدر ربنا وتفردا
 هزوا ولا عبثا ولا جاءت سدى

خذها محكمة القوافى نصبها
 نصبت لها أعلام فتح بعد أن
 وسم التصرف بالإشارة أيها
 فلت بفصل القول من برهانها
 كم مزدحى بغروره قلبت له

سر لخفض معارضها قد بدا
 خفضوا بكثرة جمعهم فتبددا
 ذا المستغيث فهذه صلتى العدا
 حد القضايا المهملات بلا اعتداء
 ظهر النجى فأولغت فيه المدى

عجباً لمفتراً بآل محمد
 قخذ الهوى ديننا ويزعم أنه

أهدى الضلال لمحتذيه وما هدى
 أضحى بمقد ولاهم متقلدا

أراد سادات البرية حيدرا وبنية والخبر الخضم المزبدا
صدق الغوى فإهم أهل لما اثنى ولكن ما بهديهم أهتدى
أهم كما زعم للغوى على الذى يلقيه عن شيطانه متمردا
حاشا لقد رهم العلى وفضلهم عن زيف من فى دين أحمد أهدا
فقد افترى كذبا عليهم مزرى بالسادة النجب الكرام أولى الهدا
قرناء وحى الله لن يتفرقا حتى ورود الحوض بينهما غدا
نشروا عن التفسير فيه وما انطوى وشقوا به الأكباد من حر الصدا
وروا حديث المصطفى حتى غدا بالرى للراوين أعذب موردا
وبصحبته اتحدوا وعنه نأخوا وعليهم أثنوا الثناء معددا
فإهم ولائى ما حييت عدو من عادوا وسلموا للمسلم مسعدا
وعليهم من ربهم صلواته بعد النبي مع السلام مجددا
وكذلك الصحب الافاضل ما حدا حاد فاطرب حين زمزم منشدا

* * *

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت
الوهاب) . (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما
حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا نمثلنا لما لا طاقة لنا به واعف عنا ، واغفر
لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

وكان القراع من نسخ هذا الكتاب من أصله فى شهر المحرم سنة ١٣٤٨ هـ .
بيد كاتبه الفقير فضل بن محمد بن عوض با فضل الحضرمى عفى عنه .
ويليه تذييل بقلم صاحب رسالة التصدير

تذليل

بقلم راجي عفوره به حسنين محمد مخلوف

بيننا في التصدير أن من طوائف الشيعة : طائفة الشيعة الامامية وأن منهم غلاة ، زعموا مزاعم لا يقبلها عقل ولا يقرها نقل ، ونذكر هنا بعضها تبصرة وإرشاداً .

فريية الشيعة

ذكر العلامة الآلوسي في تفسيره لقوله تعالى ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ الآية . أن المعنى أنه صلى الله عليه وسلم أقرب إليهم من أنفسهم ، أو أشد ولاية ونصرة لهم من أنفسهم ، حيث لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم حقيقة بخلاف النفوس كما لا يخفى . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » الحديث .

(وأزواجه أمهاتهم) أى بمنزلة أمهاتهم في تحريم الفسكاح واستحقاق التعظيم ، وأما فيما عدا ذلك فهن كالأجنبيات .

وقد نفى بعض الشيعة الأمومة عن عائشة رضي الله عنها زاعمين أن النبي صلى الله عليه وسلم فوض إلى عليٍّ ووكله أن يبقى من يشاء من أزواجه ويطلق من يشاء منهم بعد وفاته وقد طلق عائشة يوم الجمل فخرجت عن الأزواج ولم يبق لها حكمهن .

وقد ذكر هذه الفرية سليمان بن عبد الله البحراني الشيعي في كتابه الذي ألفه في مثالب زعمائها للصحابة فقال :

روى أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتابه الاحتجاج عن سعد بن عبد الله أنه سأل القائم المنتظر وهو طفل في حياء أبيه بقوله هل جعل الرسول صلى الله عليه وسلم طلاق نساؤه إلى علي كرم الله وجهه حتى إنه بعث يوم الجمل رسولا

إلى عائشة يقرعها ويهددها بطلاقه إياها إن لم تسكف عنه فامعنى الطلاق الذى وكل فيه ؟ فقال هذا الطفل : إن الله تعالى عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فخصهن بشرف الأمهات ، وقال صلى الله عليه وسلم لعلى : إن هذا الشرف باق ما دمن على طاعة الله تعالى فأيتهن عصت الله تعالى بعدى بالخروج عليك فطنقها وأسقطها من شرف أمهات المؤمنين . ثم روى الطبرسى عن الباقر نحو ذلك اهـ .

قال الألوسى : وهذا لعمري من السفاهة والوقاحة والجسارة على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بمكان وبطلانه أظهر من أن يخفى وركاكة ألفاظه تنادى على كذبه بأعلى صوت ، ولا أظنه قولاً مرضياً عند من له أدنى عقل منهم ، فلعن الله تعالى من اختلقه وكذا من يمتدده اهـ .

تأويل الشيعة للقرآن بالهوى

قال تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ أى أورثنا للقرآن هذه الأمة التى اصطفاه الله على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا وخصها بالانتماء إلى أكرم الرسل وأفضلهم واسكن الشيعة زعموا « كما قاله الطبرسى فى مجمع البيان » إن المصطفين هم أهل البيت ، أو الأئمة خاصة ، ونسبوا ذلك إلى الباقر وجعفر الصادق ، وهو تخصيص لا دلائل عليه والظاهر والسياق ينفيه . اهـ آلوسى .

ومن ذلك تأويلهم قوله تعالى : ﴿ وكل شئء أحصيناه فى إمام مبين ﴾ بأن الإمام المبين هو على كرم الله وجهه على معنى أنه تعالى أحصى كل شئء فيه أو على معنى أنه خزانة المعلومات كاللوح المحفوظ ، ومن ذلك تفسير بعضهم آية : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ أنها بكسر الصاد أى إذا فرغت من النبوة فانصب عليها خليفة عنك اهـ . إلى غير ذلك من التأويلات المنحرفة لكتاب الله العظيم . اهـ آلوسى .

إنكار الشيعة للأحاديث الصحيحة

وقالوا في حديث « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » لم يروه إلا أبو بكر
وزعموا أنه مكذوب وطعنوا في أبي بكر حيث لم يورث الزهراء من تركة أبيها
صلى الله عليه وسلم ، وهذا إفك مفترى فإن هذا الحديث رواه حذيفة بن اليمان
والزبير بن العوام ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، والعباس ، وعلى ، وعثمان ،
وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وروى البخارى أن عمر قال
بمحضر من الصحابة فيهم : على ، والعباس ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ،
والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص : أنشدكم الله الذى يأذنه تقوم السماء
والأرض أن تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركناه
صدقة » قالوا : اللهم نعم ، ثم أقبل على على والعباس فقال : أنشدكما الله تعالى
هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ، قال نعم ، بل روى
عن جعفر الصادق بمعناه .

قال الآلوسى : والتحقق أن أبا بكر خص آية الموارث بما سمعه من
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخبره في حق من سمعه منه بلا واسطة يفيد العلم
اليقيني بلا شبهة ويحب عليه العمل به .

ودعوى الزهراء قد كاث بالوراثه إنما كانت لعدم سماعها هذا الحديث وهذا غير
محل بقدرها وكم من الصحابة من لم يسمع بعض الأحاديث مشافهة منه صلى الله
عليه وسلم ، وأما حجرات الأزواج رضى الله عنهن فقد بنى صلى الله عليه وسلم
لكل واحدة منهن حجرة وسلمها لها فلكتها بالقبض وصار لها حق التصرف فيها .
ولو أردنا استقصاء مفتريات الشيعة على اختلاف طوائفهم في تأويل
الكتاب وجحود السنة والطعن في الشيخين وسائر الصحابة اضاق المجال عن
عشر معشارها ، وحسبنا الآن هذا القدر ، والله المستول أن يحفظ الإسلام من
الجاهلين والكاذبين أجمعين .

كتبه

حسنين محمد مخلوف

ترجمة

الإمام المؤلف

هو الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن المبارك بن عبد الله بن علي الحميري الحضرمي الشافعي الشهير ببخرق . ولد في ليلة النصف من شهر شعبان سنة ٥٨٦٩ بمضرموت ونشأ بها وأخذ عن علمائها ومنهم الفقيه العلامة محمد بن أحمد باحزقيل والإمام عبد الله بن أحمد باخرمة وقد تلقى عنه العربية والفقه وأصوله وسيرة ابن هشام وجملة من العلوم والكتب الأخرى ومنهم الفقيه محمد بن أحمد بافضل ، ثم قصد زبيد وتلقى على علمائها فأخذ الحديث عن العلامة زين الدين محمد بن عبد اللطيف الشرجي ، وعلم الأصول والتفسير والعربية عن الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر الصائغ وقرأ عليه شرح البهجة الوردية .

وأخذ عن الشريف الحسين بن عبد الرحمن الأهدل وألبسه خرقة الصوفية المعروفة ، وصحب الشيخ أبا بكر العميدروس وأخذ عنه . ولما حج سنة ٥٨٩٤ سمع من الحافظ شمس الدين السخاوي .

* * *

وكان بارعا متفننا نحويا لغويا راسخا في العلوم متمهرا في المنظوم والمنثور وله اليد الطولى في جميع الفنون والمؤلفات الكثيرة فيها فألف في الحديث والتصوف والنحو والصرف والحساب والطب والفلك وغير ذلك .

وقد ولي القضاء في الشَّحْر ثم اعتزله وقصد عدن فمظم قدره وجاهه عند أميرها مرجان .

ولما توفي مرجان رحل إلى الهند فأتى من السلطان مظفر تقديرا عظيما

وبقى بها إلى أن توفي في أحد أباد في ليلة العشرين من شعبان سنة ٩٣٠ هـ عن إحدى وستين سنة رحمه الله .

ومن مؤلفاته عدا كتابه (الحسام المسلول)
الاسرار النبوية في اختصار الأذكار النبوية .
ومختصر الترغيب والترهيب للمذري .
والحديقة الأنيفة في شرح العروة الوثيقة وكلاهما له .
وعقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر .
والعقيدة الشافية في شرح القصيدة لليافعة .
ومختصر المقاصد الحسنة وغير ذلك .

وقد ترجم له الامام السخاوي في الضوء اللامع والشيخ عبد القادر
الميدروس في النور السافر والعلامة الزركلي في الأعلام ، وذكرنا ترجمته في
صدر كتابه الحديقة الأنيفة رحمه الله وأثابه ونفع بعلومه

كتبه

حسين محمد مخلوف

مباحث رسالة التصدير والكتاب

| | |
|----|--|
| ٣٩ | فضل الخلفاء الراشدين حسب ترتيبهم في الخلافة |
| ٤١ | مبتدع الرقص كان يهوديا تظاهر بالاسلام |
| ٤٢ | ثناء الله ورسوله على الصحابة (مباحث الحسام للسائل) |
| ٤٥ | الخطبة وذكر السؤال إجمالا |
| ٤٧ | حاصل شبه الاسماعيلي |
| ٥١ | إجابة السائل بتأليف هذا الكتاب |
| ٥٣ | مقدمة - مبعث وجوب الإمامة |
| ٥٤ | مبعث شروط الإمامة |
| ٥٥ | » ما نثبت به الإمامة |
| ٥٥ | » الإمام الحق بعد الرسول الخ |
| ٥٦ | » وجوب تعظيم جميع الصحابة |
| ٥٧ | مقصود هذه الفرقة الضالة القدر في الدين |
| ٦٠ | أفضلية الصديق |
| ٦٣ | طرف من ثناء الرسول وأهل البيت على الصحابة |
| ٦٥ | فضل الصديق |
| ٦٦ | استخلاف أبي بكر في الصلاة |
| ٦٨ | ثناء علي على الشيخين |
| ٧٠ | ما روى في ذم الرافضة |
| ٧١ | ثناء ابن عباس على الخلفاء الأربعة |

(مباحث رسالة التصدير)

| | |
|----|---|
| ٣ | الخطبة |
| ٦ | الفرق الإسلامية ونشوءها بعد |
| ٧ | الفرق الإسلامية والفرق الخارجة عن الإسلام |
| ٨ | مذهب الشيعة وفرقها |
| ٩ | الشيعة الامامية |
| ١٠ | » الاسماعيلية |
| ١٣ | تنبيه مهم |
| ١٤ | ألقاب الاسماعيلية |
| ١٥ | نحلة الاسماعيلية الباطنية |
| ١٧ | تاريخ بعض مؤسسي مذهب الاسماعيلية |
| ٢١ | مراتب الدعوة عند الاسماعيلية |
| ٢٤ | كلام المقرئ في الدعوة الاسماعيلية بمصر ومراتبها التسع |
| ٣١ | الاسماعيلية في الموسوعة العربية |
| ٣٣ | كلام الإمام ابن تيمية في مذهب الاسماعيلية |
| ٣٤ | كلام الإمام ابن تيمية في فضل الصديق وسائر الخلفاء |
| ٣٨ | كلام الإمام ابن تيمية في أحاديث الرافضة |

ص

٧٢ ثناء جعفر الصادق على الخلفاء الأربعة

٧٢ برادة محمد الباقر عن يعادى الشيخين
٧٣ شهادة زيد بن علي بفضل الشيخين
٧٣ محبة آل البيت للشيخين وتكذيبهم الرافضة

٧٤ ثناء علي بن أبي طالب على المنبر

٧٥ خطبة لعلي في الثناء على الشيخين

٧٧ الصحابة فريق متحد متناصرين

٧٧ الرد على الشيعة وإلزامهم بالحجة

٧٨ فصل في أن الأدب مع الصحابة الخ

٧٩ بطلان حجة الخصم

٨١ ما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث

٨٨ » » » » » الآثار

٨٩ فضائل الصديق الخاصة

٩١ موقف رائع للصديق حيال

جيش أسامة

٩١ موقف رائع للصديق في حرب

الردة

٩٢ ما ورد في فضل علي

٩٥ الرد على الخصم فيما استدل به

من الأحاديث

٩٧ الرد على الخصم في حديث أنت

من بمنزلة هارون الخ

٩٩ إخماد الحسن المثنى لمثل هذا الخصم

٩٩ الرد على الخصم في حديث المؤاخاة

١٠٠ رجحان فضائل الصديق

١٠١ الرد على الخصم في الاستدلال

بحديث التمسك بالعترة

١٠٢ قدح الخصم في الخلفاء الثلاثة وردده

١٠٢ الرد في قصة أم محمد بن الحنفية

١٠٣ كفر علي بن الفضل القرمطي

١٠٤ إمرة أبي بكر علي الخ

١٠٥ الرد بشأن دفن الشيخين في

القبر الشريف

١٠٦ الرد على ادعاء الوصية لعلي بالخلافة

١٠٦ الرد على الطعن على عثمان

١٠٧ » » » » » عمر

١٠٧ بيان ما أشكل على الخصم

١٠٨ سفاهة شيعي في عهد السفاح

١٠٩ الخاتمة - الفصل الأول في شرح

حديث العترة

١١٥ الفصل الثاني في الحث على محبة

آل البيت

١١٩ قصيدة للمؤلف فيها انعطاف على

ما سبق

١٢٢ تذييل

١٢٥ ترجمة المؤلف